حوار الثقافة
الثقافة حوار

أثونة

@ketab_n
8.3.2015

آرثر باور

الفصّ الذهبي

حوار ممتد مع جيمس جويس

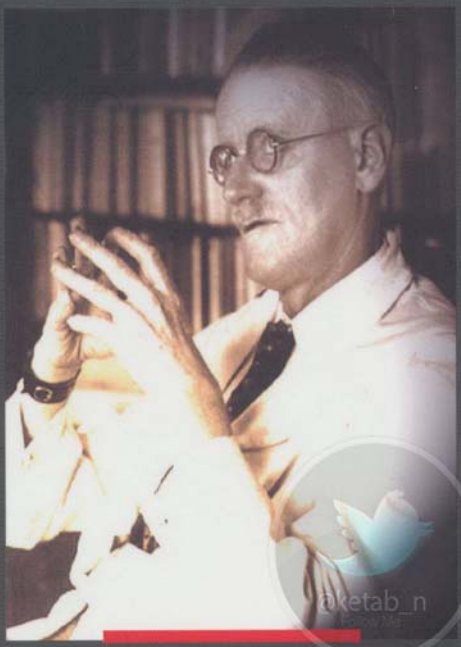

@ketab_n

الترجمة والقراءة المشهديّة

خسّونة المصباحي

حوار الثقافة
الثقافة حوار

آرثر باور

الغصن الذهبي

حوار ممتد مع جيمس جويس

@ketab_n

الترجمة والقراءة المشهدية

حسونة المصباحي

التأويل

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

الغصن الذهبي

المملكة الأردنية الهاشمية

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية

(٢٠١٤/٩/٤٥٦٧)

* يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى

ISBN 978-9957-09-599-4 (ردمك)

الغصن الذهبي

حوار مع جيمس جويس (كاتب من إيرلندا)

ترجمة : حسونة المصباحي (كاتب من تونس)

الطبعة الأولى : 2015

جميع الحقوق محفوظة بموجب اتفاق ©

أزمنة للنشر والتوزيع

تلفاكس : 5522544

ص.ب: 950252 عمّان 11195

شارع الشريف ناصر بن جميل ، عمارة 55 (الدوحة) ، ط4

info@azminah.com info@azminah.net

Website:http://www.azminah.com

جميع الحقوق محفوظة ، لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال دون إذن خطّي مسبق من الناشر .

تصميم الغلاف: إلياس فركوح

الترتيب الإخراج الداخلي : أزمنة (إحسان الناطور)

تاريخ الصدور : كانون ثاني/ يناير 2015

Twitter: @ketab_n

جيمس جويس

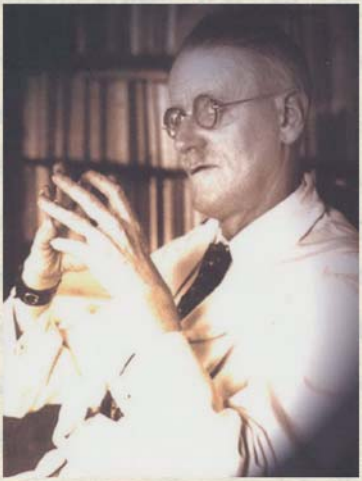

عاش جويس حياة التيه اللائقة بالفنان الذي لا يرى له وطناً خارج الكتابة. ومنذ سن الشباب، وتحديداً عندما كان في حوالي الثانية والعشرين من عمره، حمل جويس معه «نورا» الفتاة الحُمَيْراء التي كانت تعمل في أحد فنادق دبلن، وفرَّ إلى مدينة تریاست الإيطالية التي أمضى فيها حوالي اثني عشر عاماً. وبعد تریاست عاش جويس في مدينة زيوريخ حيث أنهى رائعته «يوليسيس». وفي عام 1920 استقر به المقام في باريس حيث انهمك في كتابة عمله الضخم الأخير «يقظة فينيغن».

ترد أصداء هذا التنقل من مكان إلى مكان، والذي لازم جويس حتى نهايات حياته، في «يوليسيس» على هذا النحو: «لماذا غادرت البيت الأبوي؟» يسأل بلوم ستيفان.

ـ «للبحث عن الحظ العاثر» يجيب ستيفان الذي يجسد في الرواية المذكورة شخصية جيمس جويس حسب بعض النقاد.

وفعلا فإن هذا التيه المتواصل، وإن كان جدُّ مفيداً على المستوى الفني والإبداعي،

Twitter: @ketab_n

فإنه كان مضراً على مستوى حياة جيمس جويس وعائلته الصغيرة. فمن جراء ذلك مثلاً، أصيبت ابنته «لوسيا» بانهيار عصبي أدى بها إلى ملازمة مستشفى الأمراض العقلية حتى نهاية حياتها. وللسبب ذاته عانت زوجته الصبورة الويلات والمحن حتى أنها فكرت أكثر من مرة في مفارقته والعودة حالاً إلى دبلن لتنعم بالاستقرار الذي لم تذقه منذ أن غادرتها. أما بالنسبة لجيمس جويس الذي كان يرى في هذا الأمر قدرا لا مفر منه، فإنه ظل ممعناً في هذا التيه حتى النهاية غير عابئ تماماً بكل تلك المتاعب والمصائب التي أصابت حياته وحياة عائلته الصغيرة بالاضطراب والفوضى. ويكفي استعراض بعض الأحداث التي عرفها جويس خلال أيامه الأخيرة لكي نلم ببعض تفاصيل هذا التيه وأوجاعه.

قبيل الحرب

قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، كان جويس منهمكا في وضع اللمسات الأخيرة لرواية «يقظة فينيغن». وخلال لقاءاته مع بعض أصدقائه المقربين في مقاهي باريس، كان جويس يتكلم بنبرة تدل على أنه قد بلغ النهاية، ولم يعد قادراً على الإتيان بشيء جديد. وكان ذلك أمراً طبيعياً. فالإيرلندي التائه كان قد وصل إلى أقصى حدود التجريب في جميع ما أبدع، وكانت تقلبات الأيام والأمكنة قد فعلت فعلها في الروح والجسد حتى أن الرحلة الطويلة المضنية بدت وكأنها أوشكت على نهايتها.

صدرت «يقظة فينيغن» في 4 مايو/ آيار 1939 في كل من لندن ونيويورك. وفي الحال انهمك جويس الذي كان يعاني آنذاك من متاعب مادية ثقيلة الوطأة، في متابعة المقالات النقدية التي ظهرت بشأن روايته في الصحف الأميركية والإنجليزية، ومع أن استياءه كان شديداً بخصوص ما ورد في أغلب تلك المقالات، فإنه حافظ على هدوئه، وعلق قائلاً: «نعم، لقد اطلعت على حوالي 100 مقال وصلتني من إنجلترا وأمريكا، غير أني أعتقد أن واحداً منها فقط كان جديراً بالاهتمام ألا وهو مقال

Twitter: @ketab_n

توماس ماك جريفي الصادر في «التايمز»، وبخصوص المقالات الأميركية أقدر أن أقول إن هناك شيئاً من الضوء في بعضها. أما ما تبقى منها، فإني لا أتردد في القول بأنها لا تستحق سوى صندوق القمامة».

ومع اندلاع الحرب، ازداد وضع جويس سوءاً، وتضاعفت متاعبه المادية والمعنوية والعائلية حتى أنه بدا للذين كانوا على صلة وثيقة به في تلك الأيام الحالكة، رجلاً دائم العبوس والتجهم، يكثر من الشراب في الليل والنهار، ويتحاشى الحديث حتى مع زوجته وأقرب الناس إليه. وعندما جاء بيكيت ليساعده على نقل صناديق الكتب من الشقة التي كان يسكنها في باريس إلى أحد الفنادق في انتظار ما سوف تتمخض عنه الأحداث، وما سوف تكشف عنه الأيام، عزف جويس على البيانو لمدة نصف ساعة وهو في أقصى حالات الهيجان والتشنج، ثم انفجر ساخطاً ضد الحرب. ولما حاول بيكيت إقناعه بأن لتلك الحرب فائدة ومبرراً ما، ازداد غضب جويس وصاح في صديقه الحميم قائلاً بأن تلك الحرب طامة كبرى عليه هو شخصياً لأنها سوف تمنع الناس حسب رأيه من الاهتمام بـ«يقظة فينيغن» ومن قراءتها قراءة جدية. ومع ذلك كان جويس يستعيد شيئاً من مرحه القديم من وقت لآخر، ويدهش أصدقاءه بتلك الحيوية العجيبة التي كانوا يعتقدون أنه افتقدها وإلى الأبد. من ذلك مثلاً أنه وقف ذات ليلة فوق طاولات أحد المطاعم، وأنشد مع جنود فرنسيين «LA MARSEILLAISE» بصوت رخيم صفق له جميع الحاضرين، ومرة أخرى استضاف جويس زوجة أحد أصدقائه المخلصين، وبعد العشاء، انطلق يغني ويرقص رغم ضيق المكان. ولم تتمكن زوجته والضيفة من تهدئته إلا بعد عناء شديد.

ثم تعاقبت الأحداث بعد ذلك بسرعة مذهلة. ومع حلول العام 1940، اتسعت رقعة الحرب، وبدأ جويس يشعر بأن حياته وحياة زوجته ليستا في مأمن من تلك المخاطر التي كانت تتهدد أوروبا بأسرها. ولكي يتجنب عواقب ذلك قرر مغادرة باريس والعودة إلى زيوريخ. وبما أن الحصول على تأشيرة دخول إلى سويسرا كان

Twitter: @ketab_n

في غاية الصعوبة والتعقيد، فإن جويس سارع إلى الاتصال بالعديد من معارفه النافذين تفاديا لجميع العراقيل والمصاعب الإدارية والقانونية. وفي 13 سبتمبر 1940، قدم جويس إلى القنصلية السويسرية طلب ترخيص بالإقامة في زيوريخ طيلة سنوات الحرب، ورغم أن السلطات السويسرية كانت على علم تام بشهرة جويس وعبقريته، فإنها لم تتردد في رفض طلبه زاعمة بأنه ـ أي جويس ـ يهودي! وعندما بلغه ذلك علق جويس يائساً: «لم يبق غير هذا!».

ولكن الأصدقاء رفضوا الاستسلام للأمر الواقع، وراحو يتحركون بسرعة وحزم بحثا عن حل سريع للمأساة. وظل جويس في معطفه الأسود الطويل يرقب حركتهم بانتباه شديد، ولكن دون أي تعليق. وقد تأثر جداً حين بلغه أن أستاذاً سويسرياً مرموقاً يدعى هاينريش شترومان أبرق إلى السلطات السويسرية يقول لها بأن أعمال جويس هي بدون أي احتراز أفضل الأعمال التي ظهرت في اللغة الانجليزية حتى ذلك الوقت. وبفضل جهود أصدقائه السويسريين، تمكن جويس من العودة ثانية إلى زيوريخ وذلك في منتصف شهر ديسمبر 1940.

هدوء سويسري

مضت الأيام الأولى في زيوريخ هادئة إلى أبعد حدود الهدوء. وكان جويس يستقبل أصدقاءه القدامى، ويتجول على ضفاف بحيرة زيوريخ صامتاً، غارقاً في أفكاره، مسجلاً على دفتر صغير بعض ملاحظاته حول أخبار الحرب التي كانت قد أغرقت أوروبا بأسرها في بحر من الدم. ولكي يشكر السويسريين على استضافتهم إياه كتب إلى شيخ بلدية زيوريخ رسالة بالألمانية جاء فيها: «إن العلاقات التي تربطني بمدينتكم المضيافة تمتد إلى ما يقارب الأربعين عاماً. وفي الظروف القاسية حالياً، أجد نفسي جد محظوظاً خصوصاً حين أعلم أني في حماية المسؤول الأول عن المدينة ذاته».

Twitter: @ketab_n

وبرغم كل هذا، لم يتردد جويس في التهكم بين وقت وآخر على مغالاة السويسريين في الحفاظ على النظافة، وعلى تمسكهم بالنظام، وكان يقول لزوجته وأصدقائه: «أنتم لا تعرفون كم أن الوسخ مفيد أحياناً!».

يوم الجمعة 10 يناير تفرج جويس على معرض للرسامين الفرنسيين خلال القرن التاسع عشر، ثم تعشى صحبة زوجته في مطعم «KRONEN HALLE» الذي كان دائب التردد عليه خلال إقامته السابقة في مدينة زيوريخ. وبعد الانتهاء من ذلك، همس لصاحبة المطعم السيدة «زومستاج» قائلاً: «من المحتمل أني لن أراك بعد الآن!». وعند سماعها ذلك، ظلت السيدة «زومستاج» تنظر مصعوقة إلى ضيفها دون أن تتمكن من التفوه ولو بكلمة واحدة.

في ذلك النهار، أي يوم الجمعة 10 يناير، كان الثلج يتساقط بغزارة على زيوريخ ممزوجاً بالمطر من حين لآخر. وحال عودته إلى مقر إقامته، أحس جويس بألم شديد في المعدة. وفي الحين حمل إلى المستشفى في سيارة إسعاف. وبعد الفحص قرر الأطباء إجراء عملية سريعة. وكان جويس يقول لابنه جورج طوال الوقت: «لا تخفي عني شيئاً. هل هو السرطان؟ وإذا ما كان الأمر كذلك، فمن سيتكفل يا ترى بتكاليف العملية؟». بعد العملية الجراحية التي أجريت له، بدا جويس وكأنه يتماثل للشفاء. غير أن هذا لم يدم سوى وقت قصير للغاية إذ سرعان ما دخل في غيبوبة لم يفق منها غير مرة واحدة، وبعدها أسلم الروح. وكان ذلك يوم 13 يناير 1941 في الساعة الثانية والنصف صباحاً.

دفن جويس يوم 15 يناير في مقبرة «فلوتارن» الواقعة فوق إحدى الهضاب المطلة على مدينة زيوريخ، وقد حضر موكب الدفن عدد قليل من الناس بينهم اللورد «دارفانت» الوزير البريطاني المفوض في بارن، والشاعر «ماكس جايلينجر» والبروفيسور «هاينريش ستراومان» العاشق المتيم بكل ما أبدع جويس. ويومها أيضا كان الثلج ينهمر بغزارة شديدة تماماً مثلماً في قصة «الموتى» التي عبر فيها جويس وهو في سن العشرين عن مأساة الحب والموت كأروع وأجمل ما يمكن أن

Twitter: @ketab_n

يكون التعبير. وعندما كان النعش ينزل إلى أعماق القبر، مدت زوجته نورا يدها باتجاهه وكأنها ترغب في ألا تترك ذلك الرجل الذي عاشت معه بإخلاص لمدة أربعين عاماً يمضي وحيداً إلى العالم الآخر!».

جميع المعلومات الواردة في هذا المقال مأخوذة من كتاب:

RICHARD ELLMANN JOY CE- TEL GALLIMARD-PARIS- 1987

Twitter: @ketab_n

«بأيّة عواطف متناقضة تأثرت بأفكاره لاحقاً؟
الرغبة. الغيرة. إنكار الذات. الصفاء».
جيمس جويس (أوليسيس)

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

يرتبط اكتشافي لجيمس جويس باكتشافي لأفكار الطليعة الأدبية في تونس أواخر الستينات من القرن الماضي. وقتها كنت في الثامنة عشرة من عمري. وكنت قد غادرت للتوّ الرّيف المغبرّ الأجرد حيث أمضيتُ طفولتي وشطرًا من مراهقتي لأدخل العاصمة من بابها الجنوبي (باب عليوة) وفي رأسي أحلام وطموحات بألوان قوس قزح. وأذكر أنّ أوّل شيء فعلته في اليوم التالي لوصولي هو الطواف في مكتبات «باب البحر» لتصفّح مؤلفات كتّاب سمعت عنهم غير أنّني لم أكن قد قرأتُ لهم سطرًا واحداً حتى ذلك الوقت. وكان جيمس جويس الذي أحدث ثورة فنّية هائلة ي مجال الكتابة القصصيّة والرّوائيّة أحد هؤلاء. وكان اهتمامي به قد بدأ يتعاظم بعد أن كثر الحديث عنه في الملاحق الأدبيّة التي كنت أقرؤها في تلك الفترة، والتي كان يكتب فيها الأدباء الطلائعيّون الجدد الذين كانوا ينادون بضرورة القطع مع الأدب التقليدي، ومعه اللغة القديمة التي تهيمن عليها البلاغة الجوفاء، ولا تسمّي الواقع كما ينبغي أن يكون. وقبل ذلك كنت قد قرأتُ «الغريب» لألبير كامو، و«الغثيان» لجان بول سارتر، و«وداعاً للسلاح» لارنست همنغواي. وكنت قد قرأت أيضاً «أزهار الشر» لبودلير، وبدأت أتعرّف على فرلين، وعلى رامبو. وقد فتحت قراءاتي هذه شهيّتي للتعرّف على كبار الأدباء الطلائعيّين، خصوصاً وأني

Twitter: @ketab_n

كنت أحلم بأن أكون كاتباً «طلائعيّاً» أنا أيضاً.

* * *

أوّل كتاب قرأته لجيمس جويس هو «أهالي دبلن». ومن خلال شخصيّات قصص هذه المجموعة وأجوائها ومناخاتها، تعرّفت على مدينة دبلن تماما مثلما كنت قد تعرّفت من قبل على القاهرة من خلال روايات نجيب محفوظ، وعلى الجزء العتيق من العاصمة من خلال البشير خريّف. وفيما بعد ساعدتني هذه المجموعة ـ أي «أهالي دبلن» ـ على فهم «صورة الفنان في شبابه»، و«أوليسيس». والآن أرى أنّها المفتاح الحقيقي لفهم العالم الأدبي والفني والفلسفي لجيمس جويس الذي بلغ الذروة في «يقظة فينيغن». وقد فتنت بأغلب قصص «أهالي دبلن»، غير أنّ قصّة «الموتى» هي التي جعلتني أتأكّد من العبقريّة الفذّة لجيمس جويس، لأعتبره منذ ذلك الحين «الغصن الذهبي» للأدب الحديث.

وأذكر أنني أعدت قراءة هذه القصّة أكثر من مرّة على مدى أسابيع طويلة. ودائما عندما أصل إلى نهايتها، أنسى شمس الجنوب، وأشعر أنّ الثلج لا يسقط فقط على إيرلندا، وإنّما على العالم بأسره. إنّه شعور عجيب كان يجعلني في كلّ مرّة أعيد فيها قراءة هذه القصّة، أغمض عينيّ، وأرى نفسي واقفا تحت الثلج المتهاطل بغزارة، وغير بعيد عني عاشق يرجف من البرد، ويغني لحبيبته التي تراقبه من النافذة، أغنية الحبّ الأخيرة. ولمّا قرأت سيرة جيمس جويس لريتشارد إيلمان، علمتُ أنّ صاحب «أهالي دبلن» استوحى موضوع هذه القصّة من قصّة حب عاشتها زوجته نورا بارناكل قبل أن يتعرّف عليها على الجسر في دبلن ذات أصيل خريفي كان له لون شعرها. حدث ذلك في «غالواي» Galway عام 1903: شاب مصاب بالسّل يدعى بودكين عشق نورا الجميلة حدّ الجنون. وعندما قرّرت هذه الأخيرة السّفر إلى دبلن، تحدّى عاشقها المتيّم الأمطار الغزيرة الباردة، وجاء ليلا إلى نافذتها ليغني لها أغنية الوداع. وعندما وصلت نورا إلى دبلن، علمت أنه قضى إثر سفرها بوقت قصير. وقد ظلّ جيمس جويس «يطبخ» في ذهنه ما روته له نورا عن هذا الحادث

Twitter: @ketab_n

الأليم سنوات عدّة. وكان في مدينة «تریاست» Trieste الإيطالية عندما وصلته خلال العام 1905، رسالة من أخيه «ستانيسلاس» يخبره فيها أنه حضر في دبلن حفلا موسيقيّا غنّى خلاله Plunket Grene نشيد «آه أيها الأموات» Oye Dead لتوماس مور والذي فيه يقول:

حقّاً، حقّاً، نحن ظلال باردة ومتجمّدة

والجميلات والرّجال الجسورون الذين أحببناهم رحلوا وإلى الأبد

لكن، دائماً حتى في الموت،

كم هم ناعمٌ النفسَ الحيّ للحقول والزهور

حيث شبّاناً تنزّهنا،

إن رغبتنا هي أن نتلذّذ قليلاً في ما تبقّى من الوقت،

وأن نحلم أنّنا أحياء قبل أن يحكم علينا أن نتجمّد

تحت ثلوج «هيكلا».

وقد أعجب جويس بهذا النشيد أيّما إعجاب حتى أنّه حفظه عن ظهر قلب، ثمّ غنّاه. ومن المؤكّد أنّ هذا النشيد هو الذي حفّزه على كتابة قصّة «الموتى» وذلك عام 1907. وعندما أراد جون هيوستون، المخرج الأمريكي الكبير، أن يحيّي إيرلندا، بلده الأصلي، اختار هذه القصّة وحوّلها إلى فيلم كان من أنجح أفلامه ومن أروعها على الإطلاق. وقد أنجز هيوستون هذا الفيلم عندما شعر باقتراب نهايته. ولعلّه وجد في قصّة «الموتى» ما ساعده على مواجهة أوجاع اللحظة الأخيرة. وقد شاهدتُ الفيلم في ميونيخ في يوم تساقطت فيه الثلوج بكثافة كبيرة. وكم ابتهجت لما سمعت الممثل الذي جسّد شخصيّة غابريال في القصّة وهو يقرأ بصوت خافت حزين ذلك المقطع المدهش الذي تنتهي به قصّة «الموتى» والذي يبرز بوضوح العبقريّة الشعريّة التي يتميّز بها جويس: «لقد حان وقت السفر إلى الغرب. نعم، الصحف كانت على حق. الثلج سقط على جميع أنحاء إيرلندا. سقط على السّهل الأوسط

Twitter: @ketab_n

المعتم، على الهضاب الجرداء، سقط برخاوة ولين على مخيّمة «الن». وبعيدا في الغرب، برخاوة ولين، سقط على الأمواج المتمرّدة الدكناء لـ«شانون». سقط أيضا على جميع أنحاء المقبرة المعزولة فوق الهضبة حيث يرقد ميشيل فوري مكفّنا. وكان مكوّما على الصّلبان المعقوفة، وعلى حديد السّياج الصغير، وعلى أشواك الغابات العارية راحت روحه تتلاشى شيئا فشيئا وهو يستمع إلى الثلج يتناثر على الكون عند حلول السّاعة الأخيرة لدى الأحياء والأموات».

وعندما شرعت في كتابة قصص مجموعتي الأولى «حكاية جنون ابنة عمّي هنيّة»، كانت مجموعة «أهالي دبلن» من الكتب الحاضرة بقوّة في ذهني، وفي ذاكرتي. ومثلما اختار جويس أن تدور أحداث قصص مجموعته في فضاء محدّد، أعني بذلك دبلن، اخترت أنا أيضا فضاء محدّدا لقصصي ألا وهو قريتي في أحراش القيروان. وبعض النقاد لمّحوا أنّ مجموعتي المذكورة تبدو كما لو أنّها رواية، إذ أنّ أحداثها تدور في مكان محدّد، كما أنّ شخصيّاتها تبرز ثمّ تختفي لتعاود البروز من جديد.

* * *

بعد «أهالي دبلن» قرأتُ «صورة الفنان في شبابه»، تلك الرّواية الساحرة التي تمكّن جويس من خلالها من رسم صورة مدهشة عن طفولته، وعن سنوات مراهقته. وقد فتنت في ذلك الوقت بشخصيّة ستيفان ديدالوس تماما مثلما فتنتُ من قبل بشخصيّة «مارسولت» أم : بطل؟ «الغريب» لألبير كامو، وأنطوان روكنتان، بطل «الغثيان« لسارتر. وقد عدت ثانية إلى «صورة الفنان في شبابه» بعد أن اخترت عن طواعية أن أعيش سنوات طويلة بعيدا عن بلدي. وفي روايتي «هلوسات ترشيش»، يستحضر عبد الفتاح خليل الشخصيّة الرئيسيّة في هذه الرّواية والذي يقرر أن «يتغرّب»، كلمات ستيفان ديدالوس التي فيها يقول مخاطبا صديقه كرانلي: «لن أخدم شيئا لا أؤمن به. إن كان هذا الشيء يسمّى عائلة أم وطنا أم كنيسة».

وقد كان في نيّتي أن أشرع في قراءة «أوليسيس» حال انتهائي من قراءة «صورة الفنان في شبابه» غير أنّني اصطدمت بعقبات شديدة لم أعرف لها مثيلا في أيّ كتاب

Twitter: @ketab_n

وقع بين يدي قبل ذلك. فلكأنّني أمام قلعة حصينة يلفها الغموض والألغاز. وهكذا فضّلت ترك الرّواية جانبا آملا أن أعود إليها في وقت آخر. وبالفعل عدتُ إليها مرّات عديدة غير أنّني لم أظفر بأيّة نتيجة. مع ذلك ظلّت الرّغبة في قراءتها تحرقني. بل أنّني كنت مقتنعا اقتناعا تامّا أنّني لن أكون كاتبا حقيقيّا إلاّ بعد أن أقرأ هذه الرّواية. وفي نهاية الثمانينات، كنت في باريس، وإذا بي أعثر في إحدى المكتبات بالحيّ اللاتيني على مجلّد ضخم يحتوي على المحاضرات التي كان فلاديمير نابوكوف قد ألقاها في الجامعات الأمريكيّة حول الأدب الحديث. وقد احتوى هذا المجلّد على التفسير الذي خصّصه صاحب «لوليتا» لـ«أوليسيس». وقد مكّنني هذا التفسير الدّقيق من قراءة رواية جويس من أولها إلى آخرها. وحتى هذه السّاعة أنا أجد متعة حقيقيّة حين أمضي يوما كاملا (أفضّل أن يكون يوم أحد) في قراءة فصولها، خصوصا البداية والنّهاية. وفي كلّ مرّة أفعل هذا، أجدني وقد استعدت حيويتي للكتابة، وتسلّحت بما فيه الكفاية لمواجهة ما يمكن أن يعترضني من متاعب ومصاعب. أمّا «يقظة فينغن»، الكتاب الأخير لجميس جويس، والذي استخدم فيه ألاعيب فنّية ولغوية وأسلوبيّة لم يسبقه إليها أحد، فهي لا تزال إلى حدّ هذه السّاعة بمثابة «القلعة الحصينة» التي يستحيل عليّ دخولها. وأظنّ أنها ستظلّ كذلك حتى النهاية.

Twitter: @ketab_n

Twitter: @ketab_n

تقديم

من أيام البحث عن الكتب المفقودة، والمنسيّة، عثرت في مكتبة بالقرب من «الحي اللاتيني» بباريس، على هذا الكتاب. وأذكر أني أقتنيه بدون أيّ تردّد إذ أني حَدَست وأنا أقلّب صفحاته بأنه سيساعدني على ولوج قلعة جيمس جويس الحصينة، أعني بذلك عمله الذّائع الصّيت «أوليسيس». وأعترف أن هذا العمل ظلّ صعبا عليّ سنوات طويلة. لذا لم أتمكن إلاّ من قراءة بعض الفصول منه، أضطرّ بعدها للتوقّف بعد أن أصبح متيقّنا تمام التيقّن بأن المواصلة هي مجرّد تعذيب للنّظر والذّهن معا.

وكان عليّ أن أقرأ الفصل الرائع الذي خصّصه «نابوكوف» لتفسير «أوليسيس» وأيضا سيرة جويس التي كتبها ريتشارد ايلمان لكي أصل إلى مبتغاي، وأتمكن من الولوج إلى العوالم السحرية التي ابتكرها جويس في عمله السّالف الذكر.

وقد وجدت في كتاب «آرثر باور»: «حوارات مع جيمس جويس» ما ساعدني على فهم صاحب «صورة الفنان شابا»، ومعرفة أرائه في الفن والأدب عموما. لذا ارتأيت نقله إلى العربية ببعض التصرف فلعلّ أحباء جويس من الكتاب والمثقفين العرب يجدون فيه ما يشفي غليلهم مثلما كان حالي أنا لما قرأته وأنا في القطار الذي حملني من باريس إلى ميونيخ، ذات يوم شتائي بارد.

وكان آرثر باور فنّانا شابّا يعيش في باريس في العشرينات من القرن الماضي لما

Twitter: @ketab_n

تعرف على جويس. وظل يلتقي به عدة مرات في الشهر لسنوات طويلة، مسجلا خلال كل لقاء به، آراءه حول الأدب والفن عموما، وحول كتّاب من مختلف العصور والثقافات... لذا يمكن القول أن هذا الكتاب مفتاح جيّد لفهم عالم صاحب «أوليسيس»، وسبر أغوار فنان عظيم أحدث ثورة هائلة في مجال الكتابة خلال القرن العشرين.

Twitter: @ketab_n

آرثر باور
حوارات مع جيمس جويس

I

في مرقص Bullier التقيت بجيمس جويس للمرة الأولى. ذهبت إلى هناك ليلة السبت لأني كنت على موعد مع Annette الغسّالة الشابة التي كانت تمرّ مرة واحدة في الأسبوع لكي تأخذ ثيابي للغسيل. وهي فتاة جميلة وعنيدة أصبحت في ما بعد «موديلا» وانتهت حياتها بطريقة مأساوية ، وأعتقد أن العيش في «الاتيليه» هو الذي جعلها تهتم بالأعزب المتوحّد الذي كنته في ذلك الوقت. أحيانا، وأنا أتحدث إليها كانت تتسلّى بأن تضرب برجليها قطع الفحم المتناثرة أمام الموقد لكي تلقي بها إلى الناحية الأخرى من الغرفة، وهي طريقة جدّ حاذقة لكي تظهر لي أنها لا تجعل من طريقتي في ترتيب البيت مسألة مهمّة. وبما أنها أعلمتني أنها تذهب للرقص كل ليلة سبت فإني أقترحت عليها أن نلتقي في Bullier وهو مرقص شعبي في حي MONTPARNASSE اختفى الآن مثله في ذلك مثل كثير في الأشياء في باريس القديمة. لكن في ذلك الوقت كان يقع في أعلى جادة SAINT-MICHEL في جادة L'OBSERVATOIRE مقابل حدائق Luxembourg. والمرقص نفسه كان في بناية كبيرة يلج إليه مرتادوه بنزول المد ارج ذلك أن الطابق الأرضي كان تحت مستوى

Twitter: @ketab_n

الشارع. في الداخل حلبة رقص محاطة بشرفة تدعمها أعمدة حديدية وتحت هذه الشرفة تصطف طاولات ومقاعد حديدية. وكانت هناك فرقتان واحدة نحاسية، والأخرى وترية، تتبادلان العزف في كل ناحية من القاعة. ولم تكن الفرقتان من الصنف الأول ذلك أن المرقص كانت ترتاده بائعات المحلات التجارية الصغيرة، كما كان يرتاده البعض من المثقفين الذين أتعبتهم المقاهي، فأخذوا يجيئون إلى هناك لكي يتسلّوا معجبين بجوّه الصحفي وبأثمانه الزهيدة. وعندما دخلت إلى هناك رأيت مجموعة من الناس جالسين حول واحدة من الطاولات بينهم كانت هناك صديقة لـ JO DAVIDSON وقد حرصت على تجنب الاقتراب منهم ذلك أنني ذهبت إلي هناك لكي ألتقي بـ ANNETTE وليس لكي أقضي السهرة مع مثقفين، مصيري الذي يبدو وكأنه يترصدي دائما عند المنعرج. وكنت جدّ ملتهب وجدّ متهيج لأنني سأقضي السهرة مع فتاة جميلة كنت قد بدأت أحبها أنا الأعزب المتوحّد والتي إن أسعفني الحظ سأكون متيما بها قبل نهاية الليل. كان الوقت يمرّ ثقيلا ودائما لا أثر لـ ANNETTE وذلك برغم أني طفت أكثر من مرة في القاعة بحثا عنها وفي النهاية يائسا تماما من قدومها وجدّ راغب في العثور على من يساعدني على نسيان خيبتي. مررت في نهاية السهرة بالطاولة التي كان تتحلّق حولها المجموعة التي كنت شاهدتها عند دخولي إلى المرقص، والسيدة التي أعرفها أشارت إلي بأن ألتحق بهم وقدمتني إلى سيّد ضعيف البنية، بقسمات لطيفة، وعثنون على شكل القرن. وكان يضع على عينيه نظارات سميكة.

ـ السيد جيمس جويس! قالت السيدة.

كانت مفاجأة بالنسبة لي ذلك أني لم أكن أعرف أنه في باريس. وفي آخر مرة سمعت الناس يتحدثون عنه كان يعيش في سويسرا. وعندما كنت أعيش في دبلن كنت قد قرأت« أناس من دبلن» وفي ما بعد «صورة الفنان شابا» ، لكن في ذلك الوقت كان الأدب الرومانطيقي هو الذي يهمني ولذا لم تدهشني كتبه كثيراً، لكن لقاء واحد من كتّابنا المهمين أثار فضولي. من ناحية أخرى كنت أحبّ الرجل

Twitter: @ketab_n

وتحفظه وحساسيته ولطفه المُعفى عليه. وهكذا وجدت نفسي جالسا إلى جانبه. سألني إذا كنت قادما من دبلن. وقد بدا مغتبطا عندما أجبته أني كنت هناك قبل وقت قصير وطلب مني أن أذكر له أسماء من أعرف. لم ترق لي مثل هذه الأسئلة ذلك أتني جئت إلى باريس لكي أنسى ايرلندا عموماً ، ودبلن مسقط رأسي بصفة خاصة.

قطعت حوارنا شابة أمريكية تدعى سيلـڤيا بيتش SILVIA BEACH[1] التي اقترحت أن نرفع كؤوسنا على نجاح الكتاب الجديد لجيمس جويس، تعني بذلك «أوليسيس». عند منتصف الليل تفرقت المجموعة ولكن ونحن نسير في الشارع اقترح علي جويس أن نشرب كأسا آخر في LA CLOSERIE DE LILAS في الناحية الأخرى من الشارع قبل أن نفترق. وقد حدثني عن الصعوبات التي اعترضته للعثور على ناشر لكتابه الجديد في حين استغرقت كتابته ثمانية أعوام كاملة. عقب تلك السهرة لم ألتق بجويس لبعض الوقت ثم تلقيّت منه رسالة شفوية بواسطة صديق فيها عرض علي أن أزوره في شقته بشارع RENNES. بعد ذلك بيومين، مارا أمامها وأنا في طريقي إلى سهرة في مرسم في MONTROUGE ، صعدت إلى هناك عارضا عليه مرافقتي. في ذلك الوقت كنت أعتقد أنه بإمكان الفنان أن يكون بوهيميا خصوصا في الظروف المثيرة التي تتيحها مدينة مثل باريس. وقد بد إلي أثناء الوقت القصير الذي رأيت فيه جويس أنه يحيا حياة بورجوازية وأنه يلتقي بقليل من الناس. وكنت أريد أن أقنعه بمرافقتي إلى السهرة في المرسم والتي نظمها رسام روسي يدعيFEDER وهو يهودي روسي تمكن من الإفلات من مذابح ODESSA لكي يصبح رساما في باريس. وهو يملك مجموعة رائعة من المنحوتات الزنجية، واحدة منها من الصندل الأترجي اللون تمثل الشمس تبسط سهاما من الأشعة على كل مساحة الجدار. وكان يجمع أيضا آلات موسيقية. وهذا الرجل الخيّر والمهذب صاحب الروح النبيلة والمتهكّمة كان مضيفا رائعا.

وكنت أعتقد أنه في جوّ كهذا يمكن لجويس أن يستريح أو يشرب كأسا ويثرثر

Twitter: @ketab_n

مع الفتيات، غير أن عائلته استقبلتني بطريقة سيئة خصوصا عندما عاينت أن جيوبي كانت مليئة بالقناني، وربما لأن بصر جويس كان ضعيفا جدا في ذلك الوقت فإن الأطباء منعوه من الشراب. وبالنسبة لعائلته كنت السكير الإيرلندي الذي قدم ليدعوه إلى سكرة سلتية (متعلق بالسّلتي). وقد انحنى ابنه على الكرسي الذي كنت جالسا عليه مباعدا ما بين ساقيه وكأنه يريد أن يقول لي:« متى تخرج من هنا؟» وكان وضعا مرعبا لذا قررت أن أنقذ نفسي منه بأقصى السرعة. وخاضعا للعاصفة المنذرة بالانفجار رفض جويس دعوتي. وأنا سارعت بالانصراف وأنا سعيد بالتخلص من ذلك الجو الخانق. وقد رافقني جويس حتى الباب. وعند بلوغي قرص الدّرج استند إلى الجدار ليقول لي بصوت شاك لكنه مازح:

ـ أنت تعلم أنني إنسان ذكي لكن لابد أن أتأقلم مع أشياء كهذه. ثم أضاف مبتسما بأننا سوف نلتقي حتما ذات يوم. موقفه ذاك جعلني أتصور أن جويس يمكن أن يقاد بسهولة ويسر. لكن عندما خبرته جيدا وتعرفت على عائلته وأدركت الخطر الجسيم الذي كان يتهدّد بصره، غيّرت رأيي. ثمّ التقيت به بعد ذلك بوقت قصير في شارع BAC ، وذلك عندما دعاني إلى شقته المعتمة ذات النوافذ الحديديّة. وللتوّ أصبحت صديقا كبيرا للعائلة ولزوجته NORA بالخصوص، والتي أدركت أنني لا أرغب حقا في جرّ زوجها إلى سهرات خمريّة، وإنّي لا أبالغ في الشراب.

وعاجزا عن البقاء في مكان محدّد، كان جويس يغيّر سكنه طول الوقت، للضرورة أحيانا، واستجابة لطبيعته في غالب الأحيان. بعد ذلك انتقل إلى شقة مستحبّة، مهوأة جيّدا، تقع مقابل برج إيـفل Tour Eiffel. وقد أديت له فيها العديد من الزيارات.

وكنت أحتاط ألاّ أذهب إلى هناك قبل نهاية الظهيرة، وهو الوقت الذي فيه يغادر جويس مكتبه، ليدخل إلى قاعة الجلوس مرتديا بذلة العمل، البيضاء القصيرة، والتي لا تختلف في شيء عن بذلة طبيب الأسنان. ثم ينهار على الكرسي مطلقا زفرة طويلة تنطلق من القلب. وكانت زوجته تقول له:« بحق الله يا جيم،

Twitter: @ketab_n

انزع عنك هذه البذلة! ». غير أنّ الجواب الوحيد الذي تتلقاه منه هو ابتسامته التي تشبه ابتسامة «الجوكانده»، ثم يلقي عليّ نظرة مفعمة بالدعابة والظرف من خلال نظارته السميكة. بعد ذلك، خلال السهرة، كان من عاداته أن يذهب إلىTrianons، وهو مطعم فاخر يقع أمام محطة مونتبارناس Montparnasse، ليتناول عشاءه. في هذا المطعم، التقيت بـ لورنس ماري Laurencin Marie التي توقفت عند طاولتنا لتتحدث لجويس. وأنا كنت معجبا بأعمالها، ومفتونا بالفتيات الشابات الهشات وذوات الحساسيّة المفرطة التي كانت ترسمهن. لكن فوجئت، أنا الذي كنت أتصور أنها شبيهة بموديلاتها، عندما وجدت نفسي أمام إمرأة ثـقيلة الجسد، بملامح ذكوريّة. وحسب الاشاعات كانت ماري لورانسان تفضل الرياضيين، لاعبي الكرة والدرّاجين. قالت لجويس:

ـ سيد جويس.. أريد أن أرسم ابنتك. قل لها أن تأتي إلى مرسمي الأربعاء المقبل، في الساعة الحادية عشر صباحا.

واعتقد أنه عندما وصلتLUCIA (إبنة جويس) إلى المرسم، وجدت ماري لورانسان ممدّدة في غرفة ومسدلة الستائر، شاكية من صداع سببته لها «قنبلة» الليلة البارحة. لذا أجلت الموعد معها. وأنا لم أر أبدا «البورتريه» وهذا أمر مؤسف ذلك أن LUCIA، بملامحها المرتابة والطفولية، كان يمكن أن تكون موضوعا جيّدا لماري لورانسان. عند عودته إلى شقته الكائنة في Square Robiac، كان من عادة جويس أن يكون متهيئا للحديث والنقاش، وله مزاج جدّ اجتماعي. وكنت أجده، وبجانبه قنينة Saint-Patrie شرابه الأبيض المفضل والذي اكتشفه عند قضائه لإحدى العطل في منطقة Midi De La France . وفي الحين نشرع في الحديث حول أشياء كثيرة ومختلفة. غير أن موضوع حديثنا الأساسي كان الأدب بطبيعة الحال، وهو الشيء الذي يجمع بيننا. وفي المعنى العادي للكلمة لم يكن جويس فصيحا. وفي الحقيقة كان رجلا جدّ صنموت. «الصمت والمنفى والحيلة» كانت الأسلحة التي يتباهى بها على الرغم أنه يتوجب عليّ أن أقول أنه لم يقدم دليلا يمكن أن يقنع

Twitter: @ketab_n

الناس بأنه يمتلك السلاح الثالث. لقد كان صريحا بشكل عجيب ولا علاقة له بالمكر أو بالخداع لا من قريب ولا من بعيد. لكن الحقيقة أن الرجال الصموتين ربما يكونون محتالين أكثر من الثرثارين. وخلال نقاشاتنا، كنت أتكلم أكثر منه، وأعتقد أن فكري التحليلي هو الذي ـ للغرابة ـ قوّى صداقتنا. وعندما أعطاني جويس مخطوط «أوليسيس» أخذته وكان ثقيلا مغلّفا بورق الصرّ. وأنا أجتاز الطرقات المزدحمة بالتاكسيات عائدا إلى مرسمي، كنت أرجف طول الوقت مذعورا من أن تدهسني سيارة وأن أفقد المخطوط. ولكن عندما شرعت في قراءته، أدهشتني حداثته وأسلوبه الجديد، وأحسست أنني ضائع وسط زوابع نثره المعقد، دون أن أدري أن تلك الحادثة قد وقعت فعلا أم لا أو أن ما حدث لم يكن غير وهم من الأوهام السلتية. وفي الحقيقة كنت قد أغضبت جويس في ما بعد عندما شرعت في التحقيق بطريقة دقيقة حول ما حدث بالفعل خلال لقاء Bloom بـ : Gerty Macdowell على الشاطئ. واذكر أن جويس قال لي:

ـ لم يحدث أي شيء، كل شيء حدث في خيال Bloom .

وبعد أن قرأه، وضع H.G.Wells (2) نسخة من الطبعة الأولى التي كانت مجلدة بشكل سيء، حتّى أن الأوراق تناثرت على الأرض، وشعر ـ كلا حدّث البعض بذلك ـ أنه قمع ثورة كانت في طور الإنفجار. غير أني كنت أعلم أن تلك الثورة كانت قد اندلعت ولم يعد باستطاعة أحد ايقافها. متخذا من المدينة التي ولد فيها، والتي كان كارها لها في الماضي، غير أنه أعاد ابتكارها ليحبها من جديد، كان جويس قد خلق واقعيّة جديدة، في جو كان في نفس الوقت مزيجا متساويا من الواقع والحلم. وبشأن مسألة التماثل الشهير مع «الأوديسة» لهوميروس، وهو تماثل كنت وضعته شخصيا موضع الشك ـ أتذكر أن جويس أخذ كمثال على ذلك فصل «جنيات البحر» الذي يوجد في ORMOND BAR على الأرصفة. وهو قارن النادلات في البار بجنيات البحر عند هوميروس[3] ، ملاحظا لي أن النادلات بتصفيفات شعرهن المنجزة بعناية، وبزينتهن وفساتينهن البيضاء لسن جميلات إلاّ إلى حدّ النصف الأعلى من

Twitter: @ketab_n

القامة. أما على مستوى الجزء الأسفل فهن يرتدين تنورات قديمة وينتعلن أحذية بالية، وجوارب مرقعة. مرة أخرى، وبما أني أبديت إعجابي بالجملة التالية:«تالاتا.. تالاتا.. إنها أمنا الكبيرة واللطيفة»، ألقى علي جويس نظرة جانبيّة وقال: «اقرأ الجملة السابقة لما ذكرت. فلقد كتبت:«البحر النخامي.البحر القلوص ـ الخصويّ» وهناك حيث يصف «أوديسه» هوميروس جيادا ممراحة، ورجالا وسيمين، ونساء جميلات، وآلهة وآلهات، تدور أحداث «أوليسيس» كما نحن نعلم في شوارع قذرة، بين نساء مهملات، وفي بارات مزدحمة بالسكيرين أو كل هذا يصل إلى الذروة في فصل CIRCE في NighTown . احتفظت من شبابي بذكرى غائمة عن محلات البغايا، التي تقع في حي سيء السمعة، بعدد من المنازل ذات سقوف من القش حيث كل شيء كان مباحا، وحيث كانت تتسكّع نساء بالأحرى عجائز يرتدين أقمصة سوداء. وإذا ما أنت نهضت لكي تتحدث إلى إحداهن، وبمعجزة هزّ وحدهن قادرات على معرفة سرّها، تجد عند عودتك إلى مكانك كأس الويسكي الذي طلبته وقد تحوّل إلى كأس ماء، في حين كانت هناك فينوس ريفية ممددة في آخر القاعة وبجانبها شمعة ملتهبة بالقرب من فراش الزوجية. برغم هذه الذكريات المنفرة، فإنه كان مهما بالنسبة لي أن يعود ايرلندي قادم من زيوريخ إلى باريس ومعه عمل أدبي عظيم، مكتوب بلغة حديثة، وموضوعه المدينة التي فيها ولدت. وفي الحقيقة، لأنني كنت دونما شك فخورا بذلك العمل، وليس بإخراج جويس من حياته البورجوازيّة، فاني حاولت أن آخذه معي إلى السهرات في المراسم. راغبا في عرضه على أصدقائي.

ذات مساء، كان لنا حوار حول خصائل Synge [4].وكان جويس قد تعرف عليه لما سكن في شارع Assas غير أنه كان يرى أنه شخص من الصعب معاشرته.

ـ إنه يتأجّج ويغتاظ من أجل لاشيء. أتذكر أني ذهبت إليه ذات مرة لأقترح عليه قضاء 14 يوليو/تموز (عيد الثورة الفرنسيّة ـ المترجم) في حديقة Saint-Cloud. غير أن Synge اغتاظ جدّا من فكرة قضاء يوم عطلة مثل ـ حسب التعبير الذي

Twitter: @ketab_n

استعمله ـ أي بورجوازي يشارك في نزهة على العشب» ورفض الذهاب معي. وفي الحقيقة كنا نتوتر جدا ونحن نتناقش حتى أنني قررت في النهاية عدم مقابلته.

سـألتـــه:

ـ وما هو رأيك في عمله الأدبي؟

فـــأجـــاب:

ـ أنه لا يهمني، ذلك أنني أعتقد أنه يكتب بلغة مصطنعة وغير واقعية، تماما مثل شخوصه. بالإضافة إلى ذلك، وحسب تجربتي، أرى أن الفلاحين في ايرلندا مختلفون جدا عن الفلاحين الذين هم في أعماله الأدبيّة. فهم قساة ومحتالون ومبتذلون في لغتهم وأنا لم أسمع أبدا واحدا منهم يتكلم اللغة التي يستخدمها Synge باسمهم.

ورددت عليه قائلا: «لكن من المؤكد أنه أخذ ذلك من مكان معيّن. ففي غرب ايرلندا مثلا، سمعت أحيانا جملا مدهشة. أتذكر أنني سألت ذات يوم فلاحاً في خليج Costello إذا ما كانت هناك فقمات، فصاح بي:« فقمات؟ أكيد أنها نائمة هناك مشدودة إلى بعضها بعضا مثل أصابع اليد، وأنها تتدفأ بأشعة الشمس على الصخور». هذه الجملة بدت لي وكأنها واحدة من جمل Synge. وأنت تتذكر خطبة Mary Byrne في «أعراس المبيّض» حول الملكات الكبيرات وهوسُهنّ بتنظيم حفلات الزواج، واللقاءات. وفي النهاية يقول Synge :«وطوال النهار كُنّ يرتدين فساتين من الحرير البرّاق، وأقمصة بيضاء لليل». وردّ جويس محتجا:

«ولكن متى سمعت أحدا يعبر بمثل هذه التعابير؟

ـ المسألة هو إن نعلم ان كان لا بد أن يكون الأدب واقعيّا أو أن يكون فنا فقط.

وأجاب جويس: «لابدّ أن يكون الحياة. وثمة شيء لم أستطع أن أتعوّد عليه خلال فترة شابي ألا وهو الفرق بين الحياة والأدب. أتذكر صديقا ذهب ليستقر في الغرب (يقصد غرب ايرلندا ـ المترجم) وعاد من هناك بخيبة مرة. وقد قال لي :«لم أسمع ولو جملة واحدة من جمل Synge طوال الوقت الذي عشت فيه هناك».

Twitter: @ketab_n

مثل هذه الشخصيات لا توجد إلاّ على خشبة «المسرح الوطني الإيرلندي». لكن خذ شخصا مثل ابسن Ibsen .. ها هو مسرحي حقيقي بالنسبة لك. انه يكتب مسرحيات جديدة حول المشاكل[5] التي تهم جيلنا..

ومندهشا صحت فيه قائلا:« ابسن؟ لايمكنني أبدا أن أقارن بين ابسن وسانج ذلك انه يوجد في مسرحيات ابسن شيء بشع للغاية في المسرحيات التي تدور أحداثها في ضواحي المدن، وفي تلك الشخصيات المضجرة التي تعيش في الأحياء الخلفيّة التافهة. في حين أن شخصيات سانج هي برأيي كائنات رائعة تعيش في وئام مع الطبيعة. وهذا ما تدلل عليه جمل مثل:«مع الربيع الذي يصعد على الأشجار»، أو«قمر جديد في السماء»، أو«مطعم ريفي على طريق المعرض». إنها شخصيات خارقة، وجسورة وجدّ مختلفة عن شخصيات ابسن التي تقضي حياتها في العيادات أو في حضور اجتماعات مجلس المدينة. شخصيات مزعجة ومكبوتة تمثل طبقات البورجوازية في أي مدينة.

وسألني جويس: وما رأيك في DR. Stockman في «عدو الشعب». أنت لا تستطيع أن تنكر أنه شخص جيّد.

ـ إنه شجاع حسب طريقته. بل إنه شخص جميل لكن يا له من نقص فادح على مستوى الشعر في المسرحيّة. كل تلك القصص حول المجاري الملوثة، وحول قنوات المياه الفاسدة والحمامات الصحية «وجموع العاجزين والمرضى»...

ورد جويس:

ـ أنت لم تفهم شيئا من المسرحية توزيع المياه الملوثة وقنوات المياه الفاسدة وكل هذا الذي تتحدث عنه هو رمز ما يعارضه الدكتور ستوكمان، وهو يعني بذلك أن كل الينابيع الروحية والفكرية مسمّمة. أنت لا تستطيع أن تنكر أن الدكتور ستوكمان شخصية أكثر حذقا من شخصيات سانج وأن شخصا يناضل ضد سياسة المدينة الفاسدة موضوع أكثر أهمية من أولئك المبيّضين الصياحين والنقاعين ومن

Twitter: @ketab_n

أولئك العاطلين النصف مجانين.

وقلت له :

ـ أنا عندما أطرح السؤال على نفسي أطرحه بكل جدية ، وفي الحقيقة إذا ما كانت ذاكرتي جيدة فإني أعتقد أن سانج كان يكره مسرحيات ابسن. فهذا الأخير يعالج مايسميه سانج بـ«المواضيع الشائنة والمخجلة» بعبارات حزينة ودونما لون، في حين أن في المسرحية الجيدة كما يقول سانج لابد أن تفوح كل إجابة بالجوزة والتفاحة:

وهز جويس رأسه ثم قال:

ـ أنت لم تفهم شيئا لا من نواياه ولا من عمقه السيكولوجي، وهو ما يتعارض مع الرؤية الرومانسية لسانج. أنت لم تفهم أيضا كم هي مبهرة دراساته للحياة الحديثة حيث استطاع أن يستبطن أعماقا سايكولوجية جديدة . وانطلاقا من ذلك أثر في جيل كامل من الكتّاب. ولكن هل أثر سانج في كاتب ما؟ لا أحد تأثر به سوى بعض كتاب الدراما الذين يحاولون العمل مع المسرح الوطني الايرلندي متخذين ، كمواضيع، فكاهيين قرويين شخصيات آملين من خلالها إضحاك الآخرين.

ـ ولكن هل إضحاك الآخرين أمر سيئ ؟ في الحقيقة، الرصانة المضجرة بصفة قاتلة عند ابسن هي التي تنفرني وطريقته في النظر إلى الحياة كما لو أنها ميدان قتال تتجابه فيه أفكار الشؤم التي هي أفكاره.

ـ أنت لم تفهمه كما سبق وأن قلت لك. كرر جويس. أنت لا تأخذ بعين الاعتبار الفكرة التي تحركه. إن هدف مسرحية مثل «بيت الدّمية» كان تحرر المرأة الذي أحدث أكبر ثورة في عصرنا في العلاقات الأكثر أهمية، أعني بذلك العلاقات بين النساء والرجال. ثورة النساء ضد فكرة أن يُصبحن مجرد أدوات في أيدي الرجل.

ـ وهذا أمر مؤسف، ذلك أن العلاقات بين الجنسين فسدت الآن. فلقد سمح أن يحل مفهوم ثقافي محل عامل بيولوجي والنتيجة في نهاية الأمر أن لا أحد من

Twitter: @ketab_n

الجنسين يشعر أنه سعيد.

ـ العلاقات بين الجنسين هي الآن في موضع مختلف. وأنا لا أعرف إن كانا أكثر سعادة أو أكثر تعاسة من ذي قبل. وأظن أن هذا يتوقف على الأشخاص. غير أني أعرف أن ابسن كان له تأثير حاسم على الجيل الجديد وفي الحقيقة يمكن أن نقول أنه هو الذي كوّن هذا الجيل، وأفكاره أصبحت جزءا لا يتجزء من حياتنا حتى وإن كنا لا نعي ذلك.

ـ يمكن أن تكون على حق، ولكني أمقت جفاف طبع ابسن والمسرحيات التي كتبها، لذا لا يمكن أن أكون متفقا معك. بالنسبة لي اللغة لها أهمية جوهرية، لذا أنا أعشق سانج وأعشق لغته الرائعة.

ـ ولكن لغته هي التي تنفرني. جملته الطويلة المثقلة أكثر من اللازم والتي على الممثلين أن يتلفّظوا بها بصعوبة وعسر، متسائلين كما أظن، إن كان باستطاعتهم بلوغ نهايتها. وخطبه التي تعرقل السياق الدرامي. كل هذا وانظر استعمال سيئ للخشبة خذ كاتبا مسرحيا مثل SHERIDAN إلى جملة القصيرة والسريعة والتي تنفجر مليئة بالأفكار الجيدة. إنه لا يهذر أبدا.(6)

ـ ذلك خطأ الممثلين إذا ما لم يكن باستطاعتهم الوصول إلى آخر الجملة. بالنسبة لسانج تبدوا لي الجمل كما لو أنها تسيل بطريقة طبيعية إذا ما نحن لمسنا النبرة والحالة الفكرية للناس الذين هم مفروض عليهم التلفظ بها. في هذه الجمل هناك عزّة النفس، والانفعال واللون وقوة الشخصية. أنا أكره المسرحيات التي هي سلسلة متوالية من الخطب. كل هذا يمكن أن يكون مضجرا.

ـ المسرح هو فن الفعل المعبر وليس علينا أن نحاول خنقه كما يفعل سانج. مقابل ذلك الحوار عند إبسن هو دائما ذكي وصحيح. أعتقد أن رومانسية سانج هي التي تجذبك. ربما تكون على حق، ذلك أن السؤال الذي يطرح نفسه هو التالي: هل تم خلق فن جدير بهذا الاسم ولم يكن رومانسيا؟ كل شيء يتوقف على ما أنت تسميه

Twitter: @ketab_n

فنا.. أليس كذلك؟ وحسب رأيي، هناك أشكال متعددة للفنّ كما أن هناك أشكالا متعددة للحياة.

ـ إنه بهذا الشكل أو ذاك، السُّكر هو أن نكون سكارى دائما، كما يقول رامبو. أن نكون سكارى بالحياة. أليس الفنان هو الذي يكون سكرانا دائما بالحياة.

ـ إنه الجانب العاطفي من المسألة... لكن هناك أيضا المفهوم الثقافي الذي يقود إلى تشريح الحياة، وهذا هو ما يهمّني أكثر في الوقت الراهن. أن نبحث عن ما تبقى من حقيقة في الحياة عوض أن ننفخها بالرومانسية، وهذا موقف خاطئ على طول الخط. في روايتي« أوليسيس» حاولت أن أؤسس أدبا انطلاقا من تجربتي الشخصية وليس انطلاقا من فكرة مسبقة أو من إحساس عابر أو طارئ.

ـ أرى أنك كنت تكتب أفضل حين كنت رومانسيا... مثل « ديدالوس».

ـ إنه كتاب فترة شبابي... أما «اوليسيس» فهو كتاب فترة نضجي. وأنا أفضل الفترة الثانية على الفترة الأولى.« أوليسيس» عمل يرضيني أكثر من الأول ذلك أن الشباب فترة نعذب فيها أنفسنا وليس باستطاعتنا أن نرى بوضوح. أما في «أوليسيس» فقد حاولت أن أرى الحياة بوضوح وأن أفكر في الحياة كما لوأنها شيء كامل. إن «أوليسيس» كان دائما بطلي المفضل. نعم هم كان كذلك حتى في فترة شبابي القلقة غير أنه كان علي أن أعيش نصف العصر لكي أدرك التوازن الضروري للتعبير عن ذلك؛ إذ إنّ أعيش فترة شبابي كانت موسومة بالعنف بصفة استثنائية. كانت صعبة وعنيفة.

ـ حياة كل إنسان صعبة وعنيفة حسب اعتقادي. ذلك اليوم كنت أنظر إلى بندول إيطالي في نافذة محل لبيع الأشياء القديمة. وقد رأيت هذه الكلمات مكتوبة بالعرض على مينا الساعة:« كل واحدة تجرح والأخيرة تقتل».

Twitter: @ketab_n

ـ كل واحدة تجرح والأخيرة تقتل... هذا شيء رائع... وعليَّ أن أسجل هذا حتى لا أنساه.

قال جويس.

Twitter: @ketab_n

II

كان جويس يمقت الذهاب إلى أيّ مطعم. ولم يكن يحبّ غير المطاعم القليلة التي تعوّد على ارتيادها، رافضًا رفضا قاطعا الدّخول إلى المقاهي الشهيرة التي يرتادها الفنّانون والكتاب والشعراء في حي «مونبارناس». فإذا لم يذهب إلى TRIANONS فإنه يتناول طعام العشاء مع عائلته عند Francisبمواجهة نهر «السين» وTour Eiffel. بعد المسرح، كان يتوقف هناك قبل العودة إلى شقته. ذات مرّة، أردت أن أغيّر عاداته ، فدعوته إلى مطعم بالقرب من Madeleine متخصّص في الأنبذة والأطعمة الخاصة بمنطقة «الالزاس». ورغم أن هذا المطعم كان استثنائيّا، فإن جويس اغتاظ وعبست سحنته. ومرة أخرى، ذهبنا إلى مطعم شهير في حي Mont Martre. وبينما كنا ننتظر شغور إحدى الطاولات، تعرف فرنسي على جويس وصاح بصوت عال بأنه عبقريّ. وبما أنه لم يكن في TRIANONS، مطعمه المحبّذ، فإنه أحس بأنه ليس مرتاحا. قرب الباب، لاحظت أن هناك امرأة كان يتوقف أمامها كل الرجال لكي يتحدثوا إليها بطريقة وديّة للغاية حتى أن كل واحد أخذ يتساءل: ربما تكون ممثلة أو مغنيّة شهيرة. وفي النهاية، اكتشفنا أنها تدير محلا معروفا للبغاء بالقرب من هناك. وكانت شخصية من شخصيات الحيّ ذلك أنها تعرف مواهب آخر فتاة جميلة دخلت إلى السوق. ومثلما لاحظ لي جويس فإن دوقة حقيقيّة لن تحظى بمثل ذلك التقدير والإحترام اللذين تحظى بهما هي!

Twitter: @ketab_n

وكان جويس يمقت كل ما له علاقة بـ :La BOHEME ، وكان يظهر دائما احتقاره لكل المتعلقين بذلك. ويوما ما سألته عن المكان الذي يحبّ أن يقضي فيه عطلته، فأجابني بغلظة: «في مكان حيث الناس الشرفاء يحصلون على لقمة العيش بطريقة شريفة!». وكان يبدو أنه جدّ متعلق بحياة منظمة. وقد اعتبرت موقفه هذا كردة فعل ضدّ الحياة التي كان يعيشها قديما في دبلّن، وضد البؤس وصعلكة جيله والتي سمعنا عنها الكثير من القصص التي رواها أناس عرفوه في تلك الفترة. فذات مرّة مثلا، التقى بأصدقائه في الشارع وطلب منهم جميعا أن يأتوا إلى أسفل Grafton Street ، ومع كل واحد منهم ورقة بجنيه واحد. وقد قال لهم بأنّ هناك شيئا ملحّا للغاية لابدّ أن يسمعوه. يوم السبت التالي، جاء البعض منهم، فسألهم جويس:« هل أتى كل واحد منكم بجنيه؟». فلما أظهروا له ذلك، ردّ عليهم:«الآن، علينا أن نذهب لتناول طعام الغداء عند JAMMET كان JAMMET في ذاك الوقت مطعما معروفا جدا، وغاليا جدّا في دبلن، وكان يوجد على بضعة أمتار فقط من مكان الموعد). كانت هناك حكايات كثيرة من هذا النوع تروى حول حياة جويس شابا. لكن في باريس، كان يعيش حياة سطحية للغاية، ومحبوسا طول الوقت تقريبا داخل شقته.

مرة، طلبت منه أن يلتقي بـ JO-FDAVIDSON ، غير أنه لم يكن من السّهل تنظيم هذا الموعد، ذلك أن جويس طرح عليّ العديد من الأسئلة حوله قبل أن يقبل بلقائه. كنت أريد أن أختار مقهى في SAINT-GERMAIN والتي كان يرتادها بعض الكتاب الأمريكيين مثل همنغواي وآخرين، وبعض البورجوازيين الفرنسيين من قاطني الحيّ، مكانا لذلك اللقاء، غير أن جويس رفض عرضي رفضا قاطعا، واختار مقهى صغيرا يقع في زاوية شارع BAC وجادة SAINT-GERMAIN. هناك انتظرنا، شبحا متوحّدا على رصيف مقفر، على بعد ثلاث دقائق سيرًا على الأقدام من الأماكن المشهورة التي يرتادها أصحابه وفيها يلتقون.

وفي الحقيقة، حتى وإن كان مشهورا، فإن الحياة التي كان يحياها كانت، حسب

Twitter: @ketab_n

المعايير الاجتماعية، منغلقة انغلاقا كليا على العناصر الخارجية. في واحدة من المرات النادرة وكنّا جالسين في مقهى معروف بالضفة اليسارية، أشار له بعض الكتاب الأمريكيين كانوا جالسين بالقرب منا ـ وأظنّ أنه يعرف البعض منهم ـ بأن نلتحق بهم. فأجابهم بكلمة واحدة بأنه جالس مع زوجته ومع أصدقائه لذا هو يعتذر عن تلبية دعوتهم. في أيّ مكان يذهب إليه كان يتصرف بمثل هذه الوقاحة. وإذا ما حيّا أحدهم في مطعم أو في مسرح أو في أي مكان عام آخر، فإنه يتخلّص منه بأقصى السرعة ليعود من جديد إلى وحدته.

وعندما نكون بصدد الحديث إليه، فإنه من المستحيل ألاّ نشعر في بعض الأوقات أن الحوار يلعب بالنسبة له دور الطباق لأفكاره الخاصة التي تمضي في طريق مختلف تماما: هو يكتب في ذهنه WORK IN PROGRESS. ذات مساء، في لحظة غيظ عابرة ، صحت فيه بينما كان يملأ كأسي في سهرة من سهراته :

ـ أنت رجل بلا حرارة!

وأنا لا أنسى أبدا دهشته:

ـ أنا رجل بلا حرارة ؟! ردّ عليّ.

خلال السهرات التي اعتاد إقامتها في شقته، أعترف أنه كان يتصرف بطريقة مختلفة خصوصا عندما يشرح، بضيافته الايرلندية السخيّة، في التحرك بين ضيوفه، ودودا ومرتاح النفس. وكان ضيوفه هم أنفسهم في ذلك الوقت: Slyvia Beach وهي سيدة مفعمة بالنشاط والحيويّة، أصيلة «انجلترا الجديدة» ولها اهتمام عميق ويكاد يكون مقتصرا على جيمس جويس وأعماله. وAdrienne Monnier، صديقة سيلفيا بيتش، وزوجان أمريكيان. وقد التقيت بادريان مونييه لأول مرّة في واحد من المطاعم الأنيقة في Champs Elysees ، يقع وسط الأشجار بالقرب من شارع Boissy d'anglas .كانت سيدة فارعة القامة، مثيرة للإهتمام من النظرة الأولى. وفي ذلك المساء كانت ترتدي ثوبا أسود شبيها بثوب راهبة. وهذا ما

Twitter: @ketab_n

تركني في حيرة من أمرها إلى أن قيل لي أن ثوبها هو الزيّ الرسمي للشيوعيين. وعليّ أن أعترف أنها بدت لي بلا موقع في مثل ذلك المكان. لكن عندما كانت تأتي إلى سهرات جويس، فإنها كانت ترتدي فستانا أسود عاديا، وكانت تلوح لي من صنف أولئك الفرنسيين الفاقدي الحساسيّة تجاه الانفعالات، والذين ليسوا استثناء، لكنهم لا يمكن أن يكونوا متّفقين مع الآخرين في الآراء. وكانت تدير مكتبة: LE NAVIRE D'AR GENT في شارع ODEON، مقابل مكتبة سيلفيا بيتش. ورغم أننا التقينا أكثر من مرّة خلال سهرات جويس، فإني أعتقد أنه لم تنشأ بيننا أية رابطة .عند منتصف الليل كان جويس يجلس أمام البيانو ويجهد نفسه لكي يمرّر أصابعه على الملامس. وبصوت صادح، خفيف وجميل، كان يغنّي الكثير من الموشحات الغنائيّة الايرلندية فيها يمتزج الرومانسي بالأغنية المأساوية وبالاهجوة والتي كانت المنبع السري لخياله.

والشيء المثير للإستغراب أنه حتى في هذا الجوّ الخالي من أي تكلف أو تصنع، فان الضيوف لا ينسون أبدا أصداء مجده. فكانوا دائما يقرأون النصوص النقدية المخصّصة لأعماله والتي كان تظهر في العديد في المجلات الأدبية. وبين الكتاب والمثقفين الآخرين الذين كانوا يجلسون في المقاهي، كانت أعماله موضوعا للمناقشة، حتى SOLA الإسباني الذي لا يعرف كلمة واحدة من اللغة الإنجليزية كان قد سمع أن «أوليسيس» عمل أدبي جدّ مهم، وكان يلاحقني طول الوقت طارحا علي أسئلة حول الكتاب قائلا لي:« هل هناك حقا شخصية تُدعى مولي بلوم تركت شخصا يحلب ثدييها في كأس شاي؟»

ووفق المبدأ كان جويس يرفض إجراء حوارات مع الصحافيين. وعندما طلبت منه أن يوضح لي سبب ذلك، همهم بكلمات عن تسرعهم في تقديمك في صورة خاطئة. غير أنه يبدو لي اليوم أن السّبب الحقيقي هو رغبته في أن يظلّ مسربلا بالغموض وصعب المراس. وفي حين كان أغلب الفنانين شرهين للدعاية، كان جويس يجهد نفسه لكي يفرّ منها ويتحاشاها. مع ذلك، وبرغم الحاجز الصّلب

Twitter: @ketab_n

الذي كان يقيمه بين نفسه والعالم الخارجي فأنه كان يقوم أحيانا بأعمال غير مرتقبة وغير متوقعة من جانبه. ذات يوم وأنا أتأهب للدخول إلى شقته، التقيت في المدارج زوجين غريبين كانا بصدد المغادرة وكان واضحا أنهما ينتميان إلى LA BOHEME. كان الزوج شابا بشعر أشعث، أما الزوجة فكانت من صنف الفتيات اللآتي يزعم أنه ـ أي جويس ـ يكرههن. سألته عنهما ذلك أن رؤيته مع غرباء كانت حدثا غير عادي بالنسبة لي، غير أنه بد أنه لا يعرف اسميهما.

ـ ماذا يريدان؟ سألته بفضول واضح

ـ إنهما يريدان ترجمة «أوليسيس».

ـ وهل أعطيتهما موافقتك؟

ـ نعم

ـ ولكنك لا تعرف شيئا عنهما . أنت لا تدري من هما ـ فكيف تعطيهما موافقتك إذن؟

ـ كثير من الناس يأتون ليطلبوا موافقتي على ترجمة «أوليسيس» وأنا أوافق دائما.

ـ دائما؟ قلت .

ـ نعم...ذلك أنني أعرف أن لا أحد منهم سيفعل ذلك. ردّ باسما. وتلك الملاحظة هي التي كشفت لي مع جملة من الملاحظات الأخرى احتقاره للناس الذين لا يعتبرهم فنّانين جدّيين قادرين على القيام بعمل حقيقي وجاد وهو ما يتطلبّه كل عمل فنّي، «أناس ينامون طول النهار ويتسلّون طول الليل» كما يقول همنغواي.

السبب الآخر الذي يجعله يتجنب العلاقات الاجتماعية، هو أن هذه العلاقات يمكن أن تجهز على قدرته على العمل في تلك الغرفة المعلوءة بالكتب وبالصحف القديمة والتي لا يدخلها أحد. وفي الحقيقة، فإنه خلال السنوات التي تعرفت فيها على جويس لم أره أبدا منشغلا بشيء آخر غير الكتابة، حتى ذلك اليوم الذي

Twitter: @ketab_n

مررت بغتةً وقت الشاي، فوجدته يعمل في قاعة الأكل خلف الحاجز البلوري. وكان مكتبه مزدحما بالمخطوطات وكل مخطوطة مكتوبة بحبر مختلف.. كان ذلك هو عمله الأخير WORK IN PROGRESS . ذات مساء كنت معه عند FRANCIS قرب الأبواب المتحركة عندما دخلت مجموعة من النساء الأنيقات يرتدين معاطف من الفرو ويزين أيديهن بالجواهر، وكان العطر ينبعث منهن. وقد بدا جويس وكأنه متجاهل لوجودهن. وأنا بدأت أتساءل لا عن طبيعة الرجل الذي كان وإنما عن نوع الرجل الذي كان، ذلك أني عندما أحاول أن أحلل شخصية جويس، فإني أجد نفسي أمام شخصين: الشخص الأول هو الذي في« ديدالوس»، والثاني هو الذي في « أوليسيس». وعندما أفكر في الأمر فان جويس الذي يرد إلى ذهني هو ذلك الذي انكشف لي من خلال المقال القصير لكن المعبر عن JAMES GLARENCE MANGAN [7] المنشور عام 1902. وقد عرفت أنه كان معجبا بشخصية MANGAN الغريبة والتراجيدية وليس بعمله الأدبي الذي لم يعرف خارج حدود الجزيرة التي ولد فيها، وإنما بشخصيته وبطريقتة التي تكاد تكون مرضيّة في تحديد هدف وحيد. وفي الحقيقة عندما قرأت ذلك المقال أدركت للمرة الأولى ثنائية شخصية جويس. وبالفعل فإنه حتى وإن كان المقال قد كتب بعقلية رومانسية، بنثّر نلمس فيه تأثير PATER [8] فأننا نلاحظ أن جويس شرع في شن هجوماته الأولى على الرومانسية والتي لم يكن قد تحرر منها بعد. وأعتقد أنه منذ ذلك الوقت بدأ فكره يؤسس للوضعية الجديدة التي انبثقت من التجربة التي خاضها في TRIESTE [9] ـ الكفاح من أجل الحصول على لقمة العيش. الشاب الطموح جدّا الذي كان عليه أن يتعذّب لأنه كان مفروضا عليه تعليم اللغة الإنجليزية مقابل مبالغ زهيدة. وأتذكر أنه روى لي ذات مرة بشيء من المرارة حادثة وقعت بينما كان يعطي درسا في اللغة الإنجليزية لشابة إيطالية. بعد الانتهاء من الدرس كان جويس يتأهب للخروج لما ربتت الفتاة على كتفه مشيرة إلى حيث بندول الساعة الذي كان فوقه لتقول له أن 5 دقائق ضائعة مثل هذه الأحداث،

Twitter: @ketab_n

والتي كانت تقع يوميا. كانت تستفز طبيعته تجاه الآخرين. ورغم أنه أمضى الجزء الأكبر من حياته في القارة العجوز، فان هذه الأخيرة لم تكن تهمّه. كان خياله يحوم دائما حول دبلن، مع ذلك كانت له فكرة ثابتة ـ إذا ما عاد إليها فإنه من المحتمل أن يقوم أحد ما بقتله. وفي الحقيقة، عقب كل تلك السنوات، فإنه لا يمكن أن يلفت انتباه أحد. غير أنه كان يبدو مسكونا بمثل تلك الأفكار، أفكار الاضطهاد. وعندما قلت له بأنه بإمكانه أن يذهب إلى هناك ليقضي بضعة أيام، ثبت نظراته علي وابتسم لي مستهزئا كما لو أني عرضت عليه الانتحار. وقد روى له البعض بأن رجلا دخل ذات يوم إلي مكتبة في NASSAU STREET سائلاً إن كانت هناك نسخة من «أوليسيس». وعندما أجيب بالنفي قال: «من الأفضل ألاّ يضع مؤلف هذا الكتاب ساقية في هذا البلد» وقد قلت لجويس بأن مثل هذه الجملة قد يكون تفوّه بها متزمت ديني أو قومي، ردّ قائلا: ـ بالتأكيد المتزمت هو الذي يقوم بمثل هذه الأشياء. وقد ساندته زوجته في قراره ، وهذا ما جعله راضيا عن موقفه.

Twitter: @ketab_n

III

ذات مساء كنا نتحدث عن الأدب الروسي، وكنت بصدد تمجيد تولستوي وتورغينيف وغوركي، ما عندما قال لي جويس بشيء من الانزعاج، أو هكذا بدا لي الأمر:

أليس هناك روائي إنجليزي يعجبك؟

وفي الحين، منبهرا بالروس وبحججي لصالحهم، تلفظت باسم روائي واحد قائلا لجويس:

ما رأيك بـ GEORGE MEREDITH [10]

توقف تدفق أفكاري لحين من الزمن ثم عدت لأقول له:

ـ لا MEREDITH هو من الكتاب الذين لا أرغب في قراءتهم. أتذكر أنني عثرت في الخنادق على نسخة من «الأناني»، وبما أنني كنت متعطشا للقراءة، فإني كنت جدّ سعيد بالعثور على ذلك. لكن عقب مرور وقت قصير لم أعد أتحمل ووجدتني أشدّ الكتاب إلى حجر وأرمي به إلي الألمان في الجانب الآخر من جبهة القتال (حدث ذالك خلال الحرب الكونية الأولى ـ المترجم). لكن هناك حسب رأيي روائيا إنجليزيا جيدا.

ـ ومن هو؟ سألني جويس.

Twitter: @ketab_n

ـ توماس هاردي [11] ـ قلت ـ TESS D'URBERVILLE وعمله الأخر JUDE l'OBSCUR.

ـ لكن ألا يكون هاردي متصنّع ومدّع أيضا؟ لاحظ جويس. ثم أضاف قائلا: «متصنّع ومدّع بطريقته في وضع المرهم على فتاة الضيعة والبقية: الإقطاعي الخبيث بشاربيه المشمّرين وبكلبيّته (عربة لنقل كلاب الصيد ـ المنهل). والاغتصاب السهل للفتاة والطفل غير الشرعي ثم ANGEL CLARE الانجيلي، وخلافها الآلي والدراما النهائية: جريمة القتل. وأخيرا ANGEL وأخت TESS واقفات أمام السجن لكي يرفعا علما أسود. بالنسبة لي كل هذه القصة تجعلني أفكر في MURDER IN THERED BAR أو في WOMAN PAYS وطريقة الكتابة تكون أحيانا بشعة تماما مثل العقدة وهذا ما لا يمكنك أن تنكره . سوف أظل أتذكر دائما جملة هاردي عندما يصف عواطف TESS تجاه URBERVILLE: «وقد ولدت فيها من جديد العاطفة المحزنة والتي كانت قد شعرت بها من قبل أحيانا والتي تعني أنها إذا ما سكنت الجسد المرغوب فيه والذي وهبته أياها الطبيعة فإنها تكون قد تصرفت تصرفا مشينا». ثم هناك تلك القصة الغبية عن أجدادها المزعومين وعن الفرسان الذين ينامون بأسلحتهم المرصعة الفيكتورية . بصراحة، هل مثل هذه القصة يمكن أن تكون واقعية؟

وقلت لجويس:

ـ بالنسبة لي يمكن أن تكون هذه القصة واقعية رغم أنها عديمة المهارة، غير أن عدم المهارة هذا ليس إلاّ سطحياً، ذلك أن البناء العميق لـ TESS هو في الحقيقة صلب وحسب رأيي فان TESS امرأة جميلة مثل واحدة من نساء شكسبير ، بل هي في بعض الجوانب أجمل منها وأكثر إنسانية .

وأجابني جويس قائلا:

ـ قبل كل شيء هي تعطينا الشعور حسب الخدعة بأنها جدّ جميلة مثلما أنت

Twitter: @ketab_n

تقول، ذلك أن مثل هذا الأمر يحصل بالتأكيد بسبب رداءة الشخصيات الأخرى في الرواية: الإقطاعي الغاوي وANGEL الجبان والرعديد، والأب العجوز السكير... إلخ ، إنها الخدعة عينها التي يستعملها المخرج المسرحي عندما يحيط الممثلة النجمة بتوزيع جد عادي للأدوار...

ـ ربما... لكن ليس هذا بالأمر المهم مادام كل شيء يمضي إلى نهايته المنطقية... ثم أن هناك ثراء لغة توماس هاردي الذي هو لصالح TESS والفرادة التي يثبتها في ما هو جزئي. هذه الفرادة هي جدّ واضحة إذا ما نحن عاينا أنه يجهد نفسه دائما لكي يروي ما كان قد حدث بالفعل عوض أن يفعل ذلك في جملة واحدة ماهرة. إصرار على قول أو على محاولة قول ما هو يريد أن يقوله عوض أن يخدعك من خلال تعبير محبوك مثلما يفعل كثير من الكتاب.

واحتج جويس قائلا:

ـ ولكن الجريمة. كل هذا يتعارض مع كل ما نحن نعرفه عن TESS ، ذلك أنه لا يوجد أي شيء في سلوكها يدفعنا إلى الإعتقاد أنها مجرمة، إنه خطأ سيكولوجي فظيع من جانب هاردي.

ـ إنها فتاة عاطفية وانفعالية بائسة وجميلة، خليط متفجر. قلت بإلحاح.

وهزّ جويس رأسه:

ـ إذا أنت قمت بتحليل عقد هاردي فانك ستعثر على كل حيل وخدع الميلودراما، تلك العدة القديمة المرتجّة للرسائل التي لاتصل إلى أصحابها وللبس والمشارطات التي من خلالها البسطاء هم بسطاء أكثر من اللزوم والخبثاء كائنات شيطانية.

ـ ربما... ولكن مثل هذه الأشياء التي عفى عليها الزمن كما أنت تقول هي لا تزال ناجعة ومقبولة من الناس.

ـ في هذه الحالة مار أيك في DYNASTES؟(رواية لهاردي ـ المترجم) سألني جويس ثم نهض واتّجه إلى رف الكتب ليأتي منه بمجلّد أخضر ضخم.

Twitter: @ketab_n

ـ هاهي الرواية. قال . وبعد أن جلس من جديد على الفوتاي، فتح المجلد على الصفحة الأولى ثم شرع يقرأ لي بصوت عال:

ـ ماذا يعني كل هذا؟ سألني ثم وضع الكتاب. إذا ما أنت أجبت على سؤالي فاني سأقر بأنك غلبتني وانتصرت عليّ. وإذا ما كان هناك كاتب يبالغ في تعظيم وتمجيد نفسه، فإنّه لن يكون سوى توماس هاردي بالتأكيد.

ثم أخذ الكتاب من جديد وراح يتصفّحه ليتوقف عند احدى الصفحات:

هذا وصف لمعركة. قال ثم قرأ لي بصوت عال:

المرافق الأول

الأرشيدوق شارل يتراجع إلى الوراء، صاحب الجلالة. «ونهاية المعركة تأخذ الآن منعطفا سيئا». هذا لن يكون إلا نثر سيئ . صاح جويس.

وقلت له:

ـ أنا لا أحاول الدّفاع عنه وأعتقد أنه لا يوجد شخص آخر يتجاسر على القيام بذلك.إنه شيء من جملة أشياء أخرى. لقد قرر هاردي أن يكتب قصيدا ملحميا كبيرا وهو نوع أدبيّ ليس موهوبا فيه. والشيء الأخطر من ذلك أن الوحي ينقصه. ألاّ يكون شاعرا هذا أمر متفقون عليه، غير أن هذا لا يمنعه من أن يكون روائيا. الروائي الأكثر جدية بين كل الروائيين الإنجليز ذلك أنه لا يخشى أن يأخذ الحياة من وسطها، وهذا ما يجعله مختلفا عن الآخرين بعقليتهم التجارية والذين يهتمون قبل شيء بتسلية القارئ ليصبحوا في النهاية سطحيين.

ـ هناكKIPLING [12] قـــال جويس. لقد أظهر حسا فنيا في قصة بعنوان: «الفراشة التي تعرقص». أما مجموعته: «قصص هكذا» فهي تحتوي على لمسات لذيذة من التخيل. وهذا الجانب هو الذي يجذبك على ما أظن.

ـ نعم... لكن هناك جانبا آخر لا أحبه عند KIPLING.

Twitter: @ketab_n

ـ أنت تعني ذلك الجانب حيث يقع التعبير عن الرأي بطريقة مختصرة والذي استغله أحيانا عندما يكون الأمر مرتبطا بالمأمورين في الأحياء الجميلة. أنا متفق معك. ثم شوفينيته الرنانة التي لابد إن تكون صادمة بالنسبة للأجانب.

ـ نعم...كتّاب مثل دستويفسكي وتورغينيف وغوركي لم يفتخروا أبدا بقوميتهم. وهذا ما يؤكد صفة الفنان الكبير عندهم جميعا.

ـ أنا متفق معك. هاهو سلوك قبيح وشنيع. للهروب من جوّ سياسي موسوم بالعنف ومدمّر للروح، والذي يعيث فسادا في ايرلندا فضّلت أن أعيش هنا بعيدا عنها. في مثل هذا الجو، من الصعب أن ننجز عملا مقبولا. وفي الجو الذي يخلق «الأب مورفي» هذا أمر مستحيل. وقد توصلت مبكرا إلى أن البقاء في ايرلندا لا يعني سوى التعفّن ، ولكن أنا أريد أن أتعفن بطريقتي الخاصة، وأعتقد أن أغلبية الناس يعترفون أن هذا ما فعلت.

Twitter: @ketab_n

IV

بدا جويس جدّ مهتم بالجوانب الدينيّة لقبر توت عنخ آمون، الذي تحدثنا عنه قبل مرور وقت قليل على اكتشافه وذلك في 26 نوفمبر/تشرين الثاني 1922. وقد قال لي جويس:

ـ كلما طفت في قاعات «المتحف البريطاني» (British Muséum)، إلاّ واستثيرت مشاعري أمام المعالم الآشوريّة والمصرية: كل تلك الوحوش بأرجلها الضّخمة، ورؤوسها المغطاة بالتيجان، وبوجوهها الشبيهة بوجوه القسس، وبلحاها الطويلة والمموّجة. وتلك الرسوم المصريّة للطيور والقطط. لقد فكرت دائما بأن الآشوريين مثل المصريين كانوا يفهمون أفضل منا لغز الحياة الحيوانيّة، وهو لغز تجاهلته المسيحيّة تقريبا ذلك أنها انشغلت بالإنسان معتبرة الحيوانات مجرد خدم له. وليس باستطاعتي أن أستحضر في هذه اللحظة ولو تلميحا واحدا لطيفا لكلب أو لقط في «العهد الجديد» ودائما انتقدت الشياطين التي جسّدت فيه عبر الخنزير. صحيح أن رمز زهرة الزّنبق في الحقول له وقع أكثر عمقا، غير أننا نتساءل لماذا دفع بهذا الرمز بعيدا، ولماذا وقع تجاهل الحياة النصف الواعية الهائلة الاتساع للطبيعة. حياة، بلغت دونما جهد، مثل هذا الإتقان. وفي الحقيقة منذ ظهور المسيحية، يبدو أننا فقدنا معنى النسب، ذلك أننا نعطي أهمية أكثر ممّا يجب للإنسان الذي هو في المسيحية «صورة الله على الأرض». وأنا أعتقد أن عابدي النجوم البابليين كان لهم حسّ أعلى من

Twitter: @ketab_n

حسّنا للإرهاب الديني. لكن في أيامنا هذه، تعتبر الكنائس عبادة الله من خلال الطبيعة ذنبا.

وبينما كنت أستمع إليه، اندهشت أن يتحدث جويس في مواضيع تتعلق بالدين، ويذهب في ذلك بعيدا، ذلك أنه بصفة عامة يتجنّب بحذر شديد الخوض في مثل هذه المواضيع. واذكر أنني التقيتُ عنده ذات مساء، رسّاما ايرلنديا أصبح عدوّا لدودا للكاثوليكية. وقد راح هذا الرسام يسخر منها، منتقدا إياها بحدّة، وقد قيل أن جويس معاد للكاثوليكية هو أيضا، وكنت أنتظر أن يعبر عن رأيه. غير أنه كالعادة، ظلّ صامتا، وشفتاه الرقيقتان مطبقتان بإصرار، ومن دون أن يتلـفّظ ولو بكلمة واحدة طوال النقاش الساخن الذي كان يدور بحضوره. التعليق الوحيد الذي قاله بشأن هذا الموضوع، يتلخص كالتالي: فلقد قال لي ذات مرّة أنه خلال انتخاب بابا جديد، فإنه يعطى لمجمع الكرادلة كمية من الطعام تظلّ تتضاءل يوما بعد آخر، وفي النهاية يتغلبون على غيراتهم الشخصيّة، وينتخبون البابا الجديد. صحيحا كان هذا أم خاطئا، المهم أنه كان يسلّي جويس كثيراً.

صمته العنيد بخصوص الدين، وانبعاث الإنسان بعد الموت ـ وهو موضوع تحدثت معه بشأنه أحيانا ـ كان يحيّرني، بل يغيظني. وكنا نسير راجلين أمام «مسرح الأدويون»، وإذا بي أدفعه إلى ركن وأسأله:

ـ هل تؤمن بحياة بعد الموت؟

ـ متحرجا من سؤالي المفاجيء ، تخلّص مني وأجابني وهو يهزّ كتفيه قائلا: «مثل هذه الحياة لا تعنيني كثيرا».

ثم وضع حدّا للنقاش، حتى أني أدركت أني لن أحصل منه أبدا على جواب واضح بخصوص هذه المسألة.

وفي الحقيقة أعتقد أن إحدى خاصيات جويس هي أنه يحرص دائما على عدم

Twitter: @ketab_n

التعبير عن رأيه الواضح حول هذا الشخص أو ذلك الموضوع. وأنا أعزي ذلك إلى تحفظه إزاء الحياة البروفانسبالية التي كان يعيشها في دبلن حيث كل شيء يقال كان ينقل إلى جميع الجهات، مشوها تماما حتى أنه يتخذ أحيانا أبعادا خيالية ووهمية جديرة بأسطورة سلتيّة (نسبة إلى السّليتين). وهذا ما يفسّر ميل بعض الناس إلى تصديق ما يسمعونه من كلام. وكان جويس لا يعبر عن أرائه إلاّ نادرا بحيث يصعب علينا التعرّف على معتقداته العميقة والحقيقيّة. وفي الحقيقة كان فكره يبدو منشغلا بمسألتين أساسيتين: مسألة سلوك الإنسان وسلوك محيطة.وهذا يخص فقط العلاقة مع دبلن. أما الحياة في فرنسا بكل مباهجها ومغرياتها، فإنها كانت تبدو وكأنها تنزلق تحت قدميه، ولا تغذي موهبته إلاّ في حدود تثمينه للحريّة الشخصيّة فيها. وكل ما يقوله عن باريس حين يُسأل عن رأيه فيها هو: «إنها مدينة جدّ مريحة»! ماذا يعني بهذا؟ اعترف أني عجزت عن اكتشاف ذلك.

Twitter: @ketab_n

V

ذات مساء بدا جويس وكأنه قلق وغير مرتاح النفس. وقد استخلصت من ذلك أنه يريد أن يعمل وأن حضوري يزعجه. وأنا أنهض استعدادا للخروج، تفوّه بملاحظة عن الكتّاب الرّوس. وتلك الملاحظة أشعلت نقاشا حاميا بيننا. فلقد سبق أن قلت له أن الأدبين اللذين يحظيان بإعجابي هما الأدب الروسي والأدب الصيني. وإذا ما طلب مني أن اختار كاتبين من بين كل الكتاب فإني سأختـــار Lady Muraski[13] رغـــم أنها يا بانية، لكنها تكتب حسب الأسلوب الصيني في الكتابة، والآخر هو بوشكين [14] الذي أريد أن أتخذه كمثل يحتذى من بين كل الكتاب الأوروبيين. وقال لي جويس: «ليدي موراسكي لا أعرفها، لذا ليس باستطاعتي أن أدلي برأيي بشأنها. أما بو شكين!»، قال ذلك ثم ألقى عليّ نظرة متحيّرة وأضاف:«أنا لا أفهم كيف يمكنك أن تتلذذ بمثل هذا اللحم الهزيل! قصص يمكن أن تسلّي أطفالا، وقصص جنود في معسكرات، وخونة، وأبطال فروسيّة، وجياد تركض في مساحات شاسعة. ومهملة في ركن مناسب، فتاة جميلة في السابعة عشر من عمرها، يقع إنقاذها في اللّحظة المناسبة. أعلم أن الروس يعشقون بوشكين، لكن إذا ما أنا فهمت جيّدا، فإنهم يعشقونه لشعره الذي لا أستطيع أن أقيّمه لأني لا أعرف اللغة الروسيّة. ومع ذلك أتذكر أنني قرأت ذات مرّة ترجمة لنثر بوشكين، قصته التي تحمل عنوان:« ابنة الآمر». وهي قصة مهتزّة يمكن أن تثير اهتمام تلاميذ السنة

Twitter: @ketab_n

الثالثة إعدادي. وحسب رأيي، ليس هناك ذرّة ذكاء في هذه القصة. وأنا لا أفهم كيف تفضّل بوشكين على الكتاب الروس الآخرين، على تولستوي[15] الذي فعل الشيء ذاته تقريبا، لكن على مستوى آخر، وعلى تشيكوف[16].

ـ تورغينيف[17] يعتبر بوشكين أكبر كاتب روسي. قلت محاولا أن أقدم حجة دامغة على ما ذكرت.

ـ وهل تعتقد أن بوشكين أهم من تورغينييف؟ سألني جويس.

وأجبت: نعم ذلك أنه كان أكثر بساطة، وأكثر صفاء، كما انه كان أكثر شجاعة، واعتقد أن كل فنّ، وكل عمل أدبي يعودان إلى الإنسان ذاته. وأرى أن بوشكين كان أكثر إنسانية من تورغينييف. ويقال أن القيصر كان معجبا بزوجته، ويحمل سرّا قلادة تمثلها. وأعداء بوشكين، حاسدينه على موهبته، أو بسبب إهانة ألحقها هو بأحدهم، أو ربما بدافع الخبث فقط لا غير، أرسلوا له تلك الورقة الدنيئة، المكتوبة على عجل، قائلين له بأنه «التحق بقافلة الأزواج المخدوعين الملكيين». وبوشكين الظريف أكثر من اللّزوم، والمتهوّر أكثر من اللّزوم، والفخور بنفسه أكثر من اللّزوم، أراد أن يتحدّاهم، فاختاروا هم أفضل رام من بينهم (وأعتقد انه كان صهره). وعقب ذلك بثلاث ساعات، كانت العبقريّة الأكثر توهّجا في أوروبا ملقاة على الأرض ميّتة.

ـ نعم، كنت أعتقد دائما أنه عاش كما لو أنه فتى صغير، وكتب كما لو أنه فتى صغير، ومات كما لو أنه فتى صغير. قال جويس.

ولم أستطع إن أمنع نفسي من الابتسام بسبب ملاحظته الرشيقة، رغم أنها مخالفة تماما للحقيقة. وقد ردّدت عليه قائلا:«علينا ألاّ ننسى قواعد المبارزة الموجودة في ذلك الوقت حيث كان الرجال يدافعون بحميّة عن شرفهم وشرف نسائهم. مع ذلك أعتقد أنه كان بإمكان بوشكين أن يتجاهل الرّسالة، وأن يعثر على اعتذارات. غير أن مثل هذا الأمر مخالف لمزاجه، ذلك أن ميزته الأساسيّة هي شبابه الدائم

Twitter: @ketab_n

والتي بفضلها تستعيد الكليشيهات القديمة الحياة كما لو أن ذلك تمّ بواسطة معجزة. الصعاليك، والفتيات اللاّئي يجدن أنفسهن في ضيق وشدّة من العيش، ومفهومه للشرف، وكل هذا يكوّن الثيمات الأساسية لقصته: إبنة الآمر».

وقال جويس:«أتصور أن ذلك لم يكن أمراً سيئاً بالنسبة لذلك العصر، غير أني لا أتخذ من بوشكين نموذجاً. ففي أيامنا هذ أصبح الناس معقدين أكثر من ذي قبل. وهم لا يكتفون فقط بالأحاسيس القوية التي يحصلون عليها من قصص الصعاليك، ومن ضباط الفروسية الشبان، ومن الفتيات اللاتي يعانين من ضيق في حياتهن. إن الكاتب الحديث له مشاكل أخرى، مشاكل أكثر حميمية، وأقل ابتذالا. نحن نفضل إن نذهب إلى الأركان لكي نبحث عما هو متخف في داخلها. والأمزجة والأجواء والعلاقات الحميمة، وكل هذا هو ما يكوّن ثيمات الكتاب الحديثين.لذلك فإنك عندما تقول أن بوشكين كان أهم من تورغينييف فاني لست متأكدا من إنني أفهمك جيدا. ولو قلت انه كان أكثر بساطة فإنه يمكن أن أكون على وفاق معك.

ـ أكثر بساطة وأكثر أهمية، انه نفس الشيء تقريبا. خذ قصة تورغينييف الطويلة:«رودين»، وهي واحدة من أفضل قصصه. مع ذلك ليست لها ميزة: إبنة الآمر» ذلك انه مقارنة ببيوتر، نجد أن رودين فاسد وضعيف الشخصية. وهو يذهب إلى حدّ التشكيك في نفسه. وناتاليا، البطلة، ليست مثل ماشا، البطلة المثالية ذلك أنها لم تعد تحب رودين عقب أن رفض هذا الأخير الفرار معها. من جانب صعلوك بائس يعتبر هذا القرار مشرفا وليس قرارا ناتجا عن الجبن. اعترف أن قصة تورغينييف أكثر واقعية والسايكولوجيا فيها أكثر عمقا. ولكن بوشكين يفهم الأشياء بطريقة أكثر مثالية، وأكثر تجريدا مثلما يقول الرسامون، والمثالي هو الذي تحبّه الناس. فعوض أن يكونوا غارقين في الشكوك ذات الصبغة السايكولوجية، تواجه شخصيات بوشكين الظروف بشجاعة طفولية تنتهي بأن تقوض جميع العقبات. لهذا علينا أن نفضله على تورغينييف برغم ذكاء هذا الأخير».

Twitter: @ketab_n

أطلق جويس زفرة وملأ كأسا آخر من نبيذ SAINT PATRICE ثم قال:

ـ ها نحن نخوض مرة أخرى نقاشا حول التمييز بين« الشعر» و« الأدب» وحول ماهية الحياة وما هو الكذب الذي يصنعه الخيال: الفرق بين المراهق الأبدي وHOMO SAPIENS (الإنسان العاقل) . وبالنسبة لأي كان، أن نحاول أن نكتب بأسلوب بوشكين، أو بأسلوب تورغينييف، فان هذا يبدو لي كما لو أننا نريد أن نرسم بطريقة GREUSE [18] أو WATTEAU [19]: انتحال تاريخي ربما، لكن ذلك ليس أدبا حديثا إذ علينا أن نكون متأثرين بفكر العصر الذي فيه نعيش، وأنت تعترف أن أفضل الكتّاب خلال مختلف العصور كانوا دائما بمثابة لأنبياء: تولستوي ودستويفسكي[20] وابسن والذين قدموا شيئا جديدا في مجال الأدب هم الذين كتبوا عن العصر الذي عاشوا فيه بشكل جيّد. أما الكلاسيكية الرومانسية التي أنت معجب بها جدا فإن روايتي «أوليسيس» غيرت كل شيء ذلك إني فتحت طريقا جديدا وسترى أن كثيرا من الكتاب سيتأثرون بها. انطلاقا من« اوليسيس» بإمكاننا أن نعاين توجها جديدا في الأدب ألا وهو الواقعية الجديدة. وحتى ولو انتقدت، «اوليسيس»، فان الشيء الوحيد الذي عليك أن تعترف لي به مع ذلك هو أنني حررت الأدب من العوائق التي كان يعاني منها على مدى قرون طويلة. أنت، وهذا أمر واضح، تقليدي للغاية، لكن عليك أن تفهم أن الطريقة الجديدة في الكتابة وفي التفكير قد ولدت، وأن الذين يرفضون الخضوع لها سيجدون أنفسهم على الهامش. قبل ذلك كان الكتاب يهتمون بالمظاهر الخارجية، ومثل بوشكين ومثل تولستوي، كانوا لا يفكرون إلا على مستوى معين. أما الموضوع الحديث، فانه يستخلص القوى العميقة، تلك التي توجد تحت السطح، وتلك التيارات الخفية التي تتحكم في كل شيء وتقود الإنسانية عكس التيار الظاهر المتكون من أشياء مسمومة تغلّف الروح ومن أبخزه الجنس المفسدة للصحة.

وقلت له:

ـ قد يكون صحيحا ما تقول... ذلك أني لا أنكر تأثيرك على أدب اليوم، ولا

Twitter: @ketab_n

تأثير كل علماء النّفس، رغم انه يحدث ألا استسيغ أفكارهم ونظرياتهم أحيانا. غير أني اعتقد أن «السَيَّاف الوسيم» لا يزال له مكان في عالم اليوم. من المحتمل ألا يكون كهلاً، وألا ينتج أعمالا أدبية هامة، وانه لا يرغب في كتابة أعمال أدبية حديثة رغم أني حين أتمعن في الأمر، أعتقد أن هاملت سَيَّاف وسيم لكنه فشل في أن يكون سيّافا حقيقيا. وفي الحقيقة، في هذا الجانب من سلوكه، تكمن عظمته ذلك أن مأساته متأتية من أنه بطل تربكه وتشوشه أفكاره. وقسم كبير من الأدب الحديث هو من سلالة هاملت، في المعنى الذي يكون فيه الفعل تحت سيطرة الفكر وهذا ما يقود إلى التشاؤم.

غير أن جويس بدا وكأنه متضايق من النقاش، ومغيرا موضوعه: «ما هي الشخصيات الأدبية التي كان بودك لو تعرفت عليها؟». وسألته بدوري:«هل تعني خلال السنوات الأخيرة؟».

ـ نعم خلال السنوات الأخيرة .

ـ الروس الكبار، بوشكين، تورغينييف وتشيكوف. قلت.

ـ وتولستوى؟

ـ نعم، كان بودي أن أتعرف عليه رغم أني اعتقد أني قد لا أحبه. فلقد كان رجلا عنيفا للغاية. ثم انه أصبح يملك في النهاية فكراً اجتماعياً مع ذلك اعترف انه فنان كبير وكاتب بعض القصص التي اعتبرها من أفضل القصص التي كتبت إلى حدّ هذه الساعة.وقد لا أحبه، لكن من المؤكد أني سأكون معجبا به، ذلك انه ليس باستطاعتك أن تحب أولئك الذين يسحقونك. وأنا أرى أن توستوي هو« ايفان الرهيب» بالنسبة للأدب، لامع وملكي وفظ. وبرغم جاذبيته الواضحة، فإننا نحس أن هناك شيئا يتخفى تحتها، شيئا كريها وخاليا من الشفقة. وبرغم أننا لا نملك سوى الإعجاب بموهبته، إلا أنه لا يُحدث فينا نفس التأثير الذي يحدثه تورغينيف. وعندما أفكر في الأدب الروسي أستحضر تلك الفناة الجميلة، التي

Twitter: @ketab_n

اسمهاLISA في عمله الذي حمل عنوان: «النبلاء». أستحضر شهامتها، وجديتها، وصراعها الداخلي. والقصة تسيل بالضرورة كما الحياة نفسها ومن دون أن نحسّ بسيلانها تماما مثلما هو الحال بالنسبة للحياة.« فتاة هيفاء، فارعة القامة، بشعر أسود». هكذا هو يصورها لنا، تاركا لنا الحرية في رسم ما تبقى من صورتها بحسب رغبتنا وخيالنا، وأحاسيسها تصبح أحاسيسنا.

ورد جويس عليَّ قائلا:« لك أذواق غريبة. ذلك أني اعتقد أن عمل تورغينييف الذي ذكرت هو اضعف أعماله، والذي من بين شخصياته ذلك الزوج المخدوع المتردد والمبليل الذهن، LA VRETSKI وتلك المترهبة، المصابة بالأنيمية، ليزا، وكل تلك العائلة الغريبة الأطوار من العمات، والأعمام، وأبناء العم الذين يحيطون بها في تلك الرواية التي لها ، بالنسبة لي، مذاق كربونات صوديوم أدبي. وإذا ما كانت ذاكرتي جيدة، فان الشخصيات تتحصن في غرفها لكي تزرد مخلصة لعملها ذاك كل الإخلاص. والاستراحة الوحيدة التي بها ينعمون، هي أنهم يقومون بين وقت وآخر بجولات في الريف في عربة للخيول لكي يجلسوا بالقرب من بحيرة مطلقين الزفرة تلو الأخرى، ثم يعودون سريعا إلى البيت خشية أن يصاب أحدهم بالزكام: إنه الوجود الخالي من أي جدوى لمزارعين يرفضون العمل في أرضهم. ومرة أخرى تنتهي الرواية في الضباب الذي فيه بدأت وذلك عندما تقرر الفتاة ليزا الدخول إلى الدير.

احتججتُ أنا على كلامه قائلا: «نحن لا يمكن أن نعتبر ما قلت ملخصا جيدا. من المحتمل ألا يكون لليزا اندفاع وحمية بعض البطلات الفرنسيات أو توهج الدوقة SANSEVERINA في« شارتروز بارم»[21] على سبيل المثال، ذلك إن الدوقة أكثر جمالا، ومتقدة عاطفيا بشكل استثنائي في حين نشعر أن ليزا يحركها وَهَج روحاني داخلي، وهذا يفسر الفارق الأساسي بين الجنس السلافي والجنس اللاتيني. ونحن لا نشرع في فهم ليزا إلا في نهاية الرواية في المشهد الذي تدور وقائعه في غرفة مارثا تيموفينا وذلك عندما تجثو أمام الأيقونات، في التماع الشموع... هل تتذكر ذلك؟

Twitter: @ketab_n

ـ نعم... أتذكر. انه خداع جميل، ومشهد مقدّم لذلك الزوج المخدوع البائس الذي تجعله ينتظر طول الوقت. وأنا أرى أنها مثلت دائما جوهر الأنانية الدينية، بل الجبن نفسه، ذلك أنها لم تكن قادرة على مواجهة الفضيحة التي يمكن أن يسبّبها هروبها مع لافريتسكي ولا أن تتخلى عن الرفاهية الناعمة في بيتها لكي تذهب معه للعيش في المنفى. وهكذا دخلت الدير لكي تصبح راهبة. وفي الحقيقة الميزة الوحيدة في هذا الكتاب هي أنه يحتوي على المحاولات الأولى للدراسة السايكولوجية في الرواية. لكن كل تلك الحكاية مكتوبة بأسلوب قديم، عفى عليه الزمن حتى أننا نشعر أنها لا تقف على دعائم صلبة. والأفكار السرية لليزا تظل مخفية، وأيضا التحركات الحقيقية لوجودها الداخلي ذلك أن تورغينييف هو مثل كل الكتاب الكلاسيكيين الذين لا يهتمون إلا بالمظاهر الجميلة، لكنهم يتظاهرون بتجاهل البنية الداخلية، والعمق المرضي والسيكولوجي اللذين يخضع لهما سلوكنا وأفكارنا. الفهم هو هدف الأدب. ولكن كيف يمكن أن نفهم الكائنات البشرية إذا ما نحن ظللنا نتجاهل وظائفها الحيوية؟ لقد كان تورغينييف عاطفيا يرغب في أن يكون دائما متيّما بحساسيته الخاصة. في حياته كان يحب النظام رغم الإعجاب الذي يكنه للثوريين. ويبدو انه كان يجد لذة خاصة في إذلالهم وقهرهم مثلما فعل مع بازاروف في «الآباء و الأبناء» خلافا لدستويفسكي مثلا الذي كان نبيلاً روسياً له طرق لطيفة، يلعب بالنار أحيانا وفي نفس الوقت يحرص على ألاّ يحترق. وبرأيي كان تولستوي أكثر صدقا ونزاهة، ذلك إن تورغينييف كان يحب الرفاهية في حياته الخاصة وحلقاته الأدبية أكثر من أي شيء آخر. والشخصيات الوحيدة المقنعة في رواياته هي تلك المصابة بالأنيمية والتي تمثل المجتمع الراقي. وما كان يهمه هو العزلة وليس الفعل. وهذا العالم ليس عالما من الرسم المائي الناحل الألوان. أعترف انه كان شخصا لطيفا ونحن لا نقدر إلا أن نحبه مثلما نحب شخصا ضعيفا لكنه ظريف، مع ذلك لا يمكنني أن اعتبره كاتباً كبيراً. وأعتقد أن أفضل كتبه هو ذلك الذي كتبه في سنوات شبابه، أعني بذلك:«حكايات صياد»، ذلك أنه نفذ

Twitter: @ketab_n

فيه إلى عمق الحياة أكثر مما فعله في رواياته الأخرى. وعندما أقرأ هذه الروايات أحس بذلك القدر الفائر الذي هو روسيا خلال عام 1840 ، أي قبل الفيضان. وسوف أظل أتذكر دائما الجواب الذي قدمه مزارع لتورغينييف لكي يوضح له لماذا لم يتزوج:« هل لك عائلة؟ وهل أنت متزوج؟». ورد المزارع على هذا السؤال قائلا: «لا سيدي... هذا أمر مستحيل... تاتيانا فاسيليفنا، آخر زوجة، ليرحمها الله، لا تسمح لأحد بأن يتزوّج. وقد ذهب بها الأمر إلى حد أنها كانت تقول أمام القس: فليحمني الله من المرور من هناك...أنا فتاة بائرة وسأظل كذلك حتى اللحظة الأخيرة من حياتي وما كل هذه الضجة التي يحدثونها بشأن هذه المسألة؟ أنهم قوم فاسدون. هكذا هم. وماذا تراهم يطلبون بعد ذلك.» وانفجر جويس ضاحكا بغتة وهذا ما لا يحدث له إلا نادرا .

ـ و«مياه الربيع»... ما رأيك فيها.؟ سألته بعد أن سكن مرحه المفاجئ.

غير انه أزاح ذلك بهزة من كتفيه.

ـ ليس فيها ما يمكن أن يثير اهتمامي لذا فاني لا أكاد أتذكرها. غير أني أتذكر أن الشاب الروسي سانين وقصة حبه لتلك الفتاة الإيطالية الحلوة المدعوة جيما وهو فصل بلا نهاية، مضجر وفيه مبارزة تبدو كما ولو أنها شعرة تسقط في الحساء، لا يمكن أن تنفخ فيه شيئاً من الحياة. وتلك النزهة على الجياد في الغابة والقبلات اللاهبة تحت العاصفة المطرية، وكل هذا جدير بأوبيرا لـ:BELLINI.

ـ لقد كان تورغينييف كاتبا كلاسيكيا، وفي تعارض مع كاتب مثل دستويفسكي فان خصاله هي الاعتدال والتوازن، وهما شيئان غير مقبولين في زمننا هذا. إن دستويفسكي يمر فوقنا مثل عاصفة مطرية ونحن نتذكره كما انه عاصفة مطرية تحدث من وقت لآخر. لكن عند تورغينييف هناك الظرف واللباقة وقوة يمكن مقارنتها بقوة موبسان[22]...

ورفض جويس رأيي قائلا:«لا... العواطف المتكلفة لا يمكن أن تكون شيئا

Twitter: @ketab_n

قويا... ولا يمكنها أن تكون كذلك. أنها مزقة جدّ حارة، وجد مريحة. والجيل الجديد ليس باستطاعته أن يتحمل هذا. فهل يدهشك هذا؟ الوجد يخلق ويدمر. أمّا العواطف المتكلفة فهي ليست غير دوامة تحتفظ بعديد الأنواع من القاذورات والأوساخ، وأنا لا أعرف عملا أدبيا عاطفيا استطاع أن يصمد أزيد من جيلين اثنين. القوة العنيفة وغير المتوقعة أفضل. على الأقل نحن إزاء شيء بدائي. قصص تورغينييف كانت أفضل من رواياته.

وبعد استراحة قصيرة، أضاف جويس قائلا: «الكاتب الذي يعجبني أكثر من غيره من كتاب ذلك العصر هو تشيكوف، ذلك انه قدم شيئا جديدا في مجال الأدب، ومسرحا مضادا للمفهوم الكلاسيكي للمسرح. قبله كان للمسرحية هدف محدد، ووسط محدد ونهاية محددة، وعلى الكاتب أن يقدم المشهد الكبير في الفصل الثاني وأن يعالج الفعل في النهاية. لكن في مسرحية من مسرحيات تشيكوف، ليس هناك بداية، وليس هناك وسط، وليس هناك نهاية، وليس هناك مشهد كبير في الفصل الثاني. مسرحياته تواصل للفعل، فيه الحياة تفيض على خشبة المسرح ثم تنسحب مثل موجة، وفيها الخشبة ليس هناك أي شيء وقع حله. ونحن نشعر أن جميع شخصياته عاشوا قبل الظهور على الخشبة وهم يواصلون حياتهم بشكل درامي قبل أن يغادروها.

مسرح تشيكوف ليس مسرح أفراد ولا مسرح حياة. إنه جوهره ذاته، خلافا لشكسبير مثلا الذي جعل مسرحه صراعا بين الانفعالات والطموحات. وفي حين أن العلاقات بين الأفراد في مسرحيات أخرى تبدو قريبة من العنف، فان شخوص تشيكوف عاجزون عن التحاور في ما بينهم. كل واحد يعيش في عالمه الخاص حتى في الحب، هم غير قادرين على المساهمة في حياة الآخر وعلى المشاركة فيها، ووحدتهم تخيفهم وتفزعهم. وبالنسبة للمسرحيات الأخرى، نحن نشعر أنها مركبه بشكل جيد حد التمنع. أشخاص غير عاديين يقومون بأفعال شاذة وغير طبيعية. لكن مع تشيكوف كل شيء محجب، مكبوت، مثله هو الأمر في الحياة، بتيارات عديدة

Twitter: @ketab_n

وبتيارات مضادّة تدخل وتخرج مشوشة الخطوط الكبيرة الجد واضحة تلك التي يعجب بها كتاب المسرح الآخرين. إن تشيكوف هو الكاتب المسرحي الذي قلّص العالم الخارجي إلى المقدار اللازم، والمرغوب فيه. ومع ذلك، وبأسلوب من أكثر الأساليب تجردا ، هو قادر أن يعبر عن التراجيديا وعن الكوميديا وعن الشخصية وعن الانفعال. وعندما تنتهي المسرحية، نحن نفكر للحظة أن شخوصه تخلصوا من أوهامهم. لكن عندما ينزل الستار ندرك أنهم سيضعون لأنفسهم أوهاما جديدة لكي ينسوا القديمة...

وقلت له:

ـ اعترف أنه فريد من نوعه. وإنسانيته فريدة من نوعها. وفي مسرحية مثل «الأخوات الثلاث» نلمس ذلك بشكل أفضل. ولكن بما أننا نتحدث عن الأدب الروسي، فما هو رأيك في دستويفسكي؟ وهل هو مهم في نظرك؟

وأجاب جويس:

ـ نعم هو مهم، ذلك أنه الرجل الذي ابتكر أكثر من أي شخص آخر النثر الحديث ومنحه درجة من القوة تضاهي الدرجة التي عليها اليوم. وقوته المتفجرة هي التي حطمت الرواية الفيكتورية بفتياتها المدّللات وأماكنها المعتادة. كتب خالية من الخيال ومن العنف. أعرف أن البعض يعتقدون انه كان غريب الأطوار بل مجنونا، غيران المحركات التي يستخدمها في أعماله مثل العنف والرغبة هي الإلهام الأدبي ذاته. وكما نعلم، هناك أشياء كثيرة تفسر بالحكم عليه بالإعدام، والتي وقع التراجع عنه في اللحظة التي كان ينتظر فيها دوره ليتلقى رصاصة الموت وبالسنوات الأربع التي أمضاها في سيبيريا. غير أن هذه الأحداث لم تكوّن طبعه رغم أنها قد تكون أثرت في ذلك، إذ أنه كان يحب العنف دائما وهذا ما جعله كاتبا حديثا. كما أن هذا هو الذي قاده إلى الشعور بالاشمئزاز إزاء العديد من معاصريه من الكتاب مثل تورغينييف الذي كان يمقت العنف. أما تولستوي، فقد كان يحب دستويفسكي رغم انه كان يعتقد انه لا يملك موهبة كبيرة أو بالا حرى روحا فنية. مع ذلك،

Twitter: @ketab_n

هو قال ذات مرة بأنه«يعشق شجاعته» وهذا رأي فيه جزء كبير من الحقيقة، ذلك أن شخصيات دستويفسكي تتصرف مثل المجانين تقريبا.«بخار وصخب». هكذا وصفه جورج مور[23] . حشو كلامه رائع. غيران ذلك لا يفتنني.

ـ وأنا أيضا . قلت.

ورد جويس:

ـ نعم، ولكن هل يمكن لإنسان مثل جورج مور، ذلك الباريسي أن يعجب بكاتب مثل دستويفسكي؟ مور الذي كان يعشق تورغينييف وبلزاك، وتقليديين مثله بكل تلك المواضيع المقززة التي يعالجونها في أعمالهم. ولكن هناك أشخاصا، بل كثيرا من الأشخاص يعتقدون أن« الإخوة كارامازوف» هي من أفضل الروايات التي كتبت. وأنا أقر بأن هذه الرواية كان لها وقع كبير عليَّ.

ـ ولكن هي الفوضى بعينها. قلت، وعلّق جويس على ملاحظتي قائلا:

ـ ربما تكون كذلك. غيرأني أعتقد أن دستويفسكي كتب فيها مشاهد لا يمكن أن تنمحي من الذاكرة. هل تتذكر اللحظة التي ذهب فيها «اليوشا» لرؤية والده بعد أن قام« ديميتري» بتعنيفه. كان رأس الأب لا يزال مغلفا ليعاين الجراح التي أصيب بها في المرآة، مقسما بأنه سيواصل حياته كما فعل دائما، وانه لن يتخلى أبدا عن الرذيلة. كبرياؤه وتبجحه وحبه لـ« غروشينيكا» الشابة العاهرة والعذراء في نفس الوقت.

وقلت لجويس:

ـ أتذكر أن كاتبا من بين أصدقائي طلب منّي وعيناه ملتهبتان بالحماس أن أقول رأيي في «غروشينيكا»، غير أني لم استطع أن أجيبه. وعندئذ أدركت أن «غروشينيكا» هي، في الحقيقة، مثل كل شخصيات دستويفسكي، غير واقعية. وعندما كنت أقرأ، كنت أتساءل طول الوقت إذا ما كان شخص عاقل يمكن أن يتصرف وأن يتحدث مثلهم. مبالغات مفرطة تتجاوز كل الحدود الممكنة، لذا يمكننا أن نقول أنهم جميعا مجانين.

Twitter: @ketab_n

وعلّق جويس على كلامي قائلا:

ـ يمكنك أن تسمي هذا جنونا. لكن يكمن سرّ عبقرية دستويفسكي. كان هاملت مجنونا، ومن هناك أتت الطاقة الكبرى. وبعض شخصيات المسرح الإغريقي مجنونة. وغوغول كان مجنونا. وفان كوخ كان كذلك. لكن أنا أفضل كلمة« هيجان» التي يمكن أن تعني الجنون. وفي الحقيقة كل الرجل العظام كانوا شبيهين بشخصيات دستويفسكي. وهذا هو منبع عظمتهم. الإنسان العاقل لا يمكن أن يقوم بعمل مهمّ.

Twitter: @ketab_n

VI

مثل كل الناس، اهتم جويس اهتماما كبيرا بقضية BYWATERS-THOMPSON التي كانت تملأ كل الصحف الإنجليزية في ديسمبر/ كانون الأول 1922، والتي كتبت عنها حتى صحيفة TIMES مقالا مفصلا. وقد كان BYWATERS رئيسا للخدم في باخرة. وكان قد تعرف على سيدة تدعى«طومسون» قبل ذلك بسبعة أعوام. وكان ما عادته أن يكتب لها رسائل عندما يكون في البحر. وكانت هي تعدم رسائله غير أنها كانت تحتفظ له بالرسائل التي كانت تبعث بها إليه والتي كانت تفكر فيها في الوسائل الممكنة لتسميم زوجها. وهذه الرسائل عرضت أمام المحكمة متسببة في خسارة السيدة «طومسون». وبالرغم من أنها مأساوية، فإن القضية لم تكن تخلو من بعض العناصر الهزليّة المضحكة. فقد كانت السيدة «طومسون» توقظ زوجها في الليل، لكي يشرب بطلب منها لمبة مسحوقة. «وفي المرة الثالثة، وجد زوجي قطعة منها. لذلك تخليت عن ذلك حتى عودتك».

وكان BYWATERS شابا وسيما، وفي ملامحه ما يدل على الأمانة والاستقامة. وقد رأيت صورته في الجريدة عندما كان يقاد إلى قاعة المحكمة. وكان رجال الشرطة يدخلونه إليها بحرص الأم على ابنها الوحيد، لكي يحاكم ولكي يحكم عليه بالإعدام في ما بعد. ولست أدري لماذا يشفق عليهما الناس، غير أني اعتقد أنهما رمز ذلك النضال القديم قدم العالم الذي يخوضه الشباب والحب ضد التقاليد. مع هذا

Twitter: @ketab_n

كان من الصعب عليّ أن افهم لماذا لم يقررا الهروب قبل انكشاف علاقتهما السرية. ويبدو أن السيدة «طومسون» كانت تتمتّع بوضع جيد لذا كانت تخشى سوء العاقبة إذا ما فرت مع BYWATERS لتعيش معه براتبه الزهيد. وهذا الخوف مبالغ فيه، ذلك أنه كان من الممكن ألاّ تفقد الوضعية الجيدة التي تتمتع بها. بالإضافة إلى ذلك إذا ما كانت سيدة أعمال، فانه لن يكون من الصعب عليها العثور على وضعية جيدة أخرى. ولكن يبدو أنها قررت إذا ما هي خُيّرت أن تظل سيدة محترمة وأن تسمم زوجها. وحسب ما يبدو فان BYWATERS كان حسب موقفه أمام المحكمة شابا ساذجا وأبي النفس. وقد ظهر وكما لو أنه يرغب في أن يتحمل جميع المسؤوليات في ما حدث لحماية عشيقته. وكان أيضا شابا فائرا من الناحية الجنسية، وفاقدا تماما لتوازنه تحت تأثير السيدة «طومسون». وخلال رحلاته البحرية، كان يدقق في الرسائل التي كانت ترسلها له، ويعيد قراءتها أكثر من مرة. ويمكننا أن نتعرف على حالته النفسية من خلال جمعه لقصاصات الصحف والتي كان البعض منها مرسلا إليه من قبل السيدة «طومسون»، وهنا نماذج من تلك القصاصات: «القس مسموما». «النساء اللائي يكرهن الرجال».«معركة دبلات الساق والعراقي». «الموت بحساء الدجاجة» .«الزواج السري».الخ... ومن دون شك أن BYWATERS كان ينوي الفرار غير أنها كانت تلّح على ضرورة تسميم زوجها ، وفي الحقيقة إن فكرة الجريمة كانت تتلبّسها. ففي احدى رسائلها إليه كتبت تقول:«لقد التقيت أمس امرأة فقدت ثلاثة من أزواجها في ظرف احدى عشر عاما. ولا أحد منهم فقدته في الحرب. اثنان منهم ماتا غرقا والثالث انتحر. والبعض من النساء اللاتي أعرفهن لا يتمكن من فقدان زوج واحد. كم كل هذا ظالم وغير عادل...». والحل المثالي بالنسبة لها كان أن يقرر زوجها الانتحار، ولكن يبدو أن هذا الأخير كان فاقداً لأي ذرة خيال بطريقة غير طبيعية، وكان يبتلع فتات اللمبة بصفاء وراحة بال إلى أن اكتشف قطعا كبيرة منها في الخليط الذي كان يبتلعه يوميا. ويبدو انه كان عارفا بأن BYWATERS كان عاشقا لزوجته، وأنه وزوجته كانا يتآمران ضده، غير أني أعتقد أنه لم يكن يظن أن

Twitter: @ketab_n

الأمر سيصل إلى ذلك الحد. ومن المؤكد انه كان يحب زوجته رغم إنها كانت تكرهه في السر. لكن أحيانا، وبفضل حيلها النسائية، فإنها كانت تنجح في إخفاء كراهيتها له. وفي احدى رسائلها إلى BYWATERS كتبت تقول: «قلت له أني لا أحبه، فبدا مندهشا مما قلت». وعندما طلب BYWATERS من الزوج أن يطلّق، تجاهله هذا بشكل هادئ. وقد وقع التلميح إلى أن«طومسون» كان يضرب زوجته، وهذا ما كان يغيظ BYWATERS غيظا شديدا. ولاحظ جويس قائلا:

ـ أن الرجل ـ اللغز في القضية كلها هو الزوج. وهو بالأحرى كتلة لا تتزعزع أكثر منه قوة لا يمكن قهرها. وهو جد متشبث بعاداته حتى أن كل ما في الخارج يبدو له غير واقعي. ونحن لا نملك له صورة دقيقة وواضحة. غير أن هناك شيئا مؤكداً بالنسبة لي وهو انه إذا ما حدث هذا في فرنسا، فان العشيقة والعشيق لن يحكم عليها بالإعدام. وأنا اعتقد أن العدالة البريطانية كانت على خطأ عندما حاكمتهما معا في نفس قفص الاتهام، ذلك انه إذا ما اعترف الأول بأنه مذنب، فان الثاني هو أيضا كذلك. في حين أن حجة ضد الواحد منهما ليست حتما حجة ضد الآخر. وهذا ما أخذ طابعاً حقوداً وميالاً للثأر. وبعد كل هذا، فان السيدة «طومسون» لم تقتل زوجها. واعتمادا على ما نحن نعرفه، فانه من المحتمل أن تكون قد عارضت قتله غير انه لم يكن باستطاعتها منع ذلك. صحيح أنها حرّضت BYWATERS على ذلك ولسنوات عدة، غير أن هذا لا يعني أنها نفذت ما كانت تفكر فيه. إنها قضية جد دقيقة. وهذا صحيح ولكني أرى انه أمر شنيع ولا إنساني أن يسيّر القاضي المحاكمة بهذا الشكل.

ـ ليس هناك أدنى شك في أنه قتل الزوج بطعنات سكين. قلت.

ـ أعرف ذلك. ومثل طواحين الله تطحن العدالة البريطانية ببطء، ولكن بطريقة دقيقة مبالغ فيها للغاية. مع ذلك أعتقد أن كل الناس صدموا. يا له من شيء مرعب القانون في بعض الأحيان! كل ما تبقى بإمكانه أن يتطور. والفرنسيون فهموا هذه الضرورة، بل ذهبوا بعيداً جداً في نظر البعض. وعلى أية حال، من المحبذ

Twitter: @ketab_n

أن يصبح القانون أقل صرامة وقسوة. أعرف أن السيدة «طومسون» كتبت ذات مرة إلى BYWATERS رسالة تقول له فيها:«زوجي يملك حسب القانون كامل الحق في ما لك الحق فيه بالطبيعة وبالحب». وكانت ملاحظة القاضي على ذلك في ملخص المداولات: «إذا كان هذا اللاّمعنى شيئا، فانه يعني أن حب زوج لزوجته لا يعني شيئا ، ذلك أن الزواج معترف به من قبل القانون». كما لاحظ أيضا أن رسائلBYWATERS تفوح منها رائحة الغباوة والعواطف الحمقاء الضّيقة الأفق. وبعبارة أخرى، الإنسانية لا تعني شيئا. أما القانون فيعني كل شيء. وأتصور أن هذا صحيح إلى حد معين لكن علينا أن نخفف من صراحة القانون حتى نتمكن من تمييز الفارق بين جريمة فظة مثلا، وبين فعل امرأة تقتل طفلها يأسا ثم تحاول أن تقتل نفسها ، وهو ما يعتبره القانون جريمة مضاعفة.

وقلت له:

ـ لقد رأيت في الصحف صورا للمتهمين في القضية، وكان للزوج ملامح شاب إنجليزي وسيم وشبيه بـ BYWATERS نفسه. وفي الحقيقة كان من الممكن أن يكونا شقيقين. باختصار كان الرجل الذي بإمكانه أن يلفت انتباه تلك المرأة التي أرادت قتله بعد أن تزوجها. وكانت هي امرأة جميلة، وكانت شخصية استثنائية. فقد كانت تدير بحزم وبقوة معملا للخياطة خاص بالنساء في المدينة. واعتمادا على صورة أخذت لها وهي بصحبة زوجها وBYWATERS خلال إحدى العطل التي أمضوها معا، نلاحظ أن الزوج جد عاشق لها. كان ممددا ورأسه على ركبة زوجته.

وردّ جويس قائلا:

ـ في الحقيقة ليست هناك أية حجة دامغة ضدها، وذلك برغم كل الرسائل التي تقول فيها بأنها وضعت كذا وكذا في الكأس الذي شربه زوجها. ولم يعثر على أيّ أثر لسم في أحشاء «طومسون» ولا على أي ذرة من اللمبة المسحوقة. وفي النهاية كان لا بد من استعمال سكين BYWATERS الذي ثمنه ستة شلنات لقتله. لذلك، هي أقسمت أمام المحكمة أنها لم تُعْطِ شيئا لزوجها، وأن كل هذا ليس غير أفكار

Twitter: @ketab_n

غريبة عبر عنها BYWATERS. وبطبيعة الحال كان فكرها هي ملبدا بما كانت تقرأه. أما بالنسبة لرسائلها، فإنها كانت تكتبها لأنها كانت ترغب في الظهور بمظهر المرأة الرومانسية أمام BYWATERS ذلك انه كان يحدثها بالتفصيل عن حياته خلال رحلاته البحرية. وبإمكاني أن أرى المشهد بوضوح تام...

مدينة ILFORD... الشوارع المعتمة بأضواء يصعب علينا تمييزها خلف الستائر الصفراء... وبعيداً، ريح خفيفة ترتفع حاملة رائحة السمك الحادة والبطاطس المقلية.«طومسون» وزوجته يسيران متحاضنين تحت الأشجار. وفجأة يندفع ذلك الشاب ويغرس السكين في صدره، وتطلق هي صرخة عالية، وتنتحب، طالبة النجدة، أو هي تزعم ذلك. بإمكاني أن أحس هنا الفوحان الإنجليزي، وهذا يذكرني... نعم يذكرني بـ STRAND... لنقل ذات مساء يوم سبت. الناس مكدسون في الشوارع أمام الحانات. والمشاجرات تندلع فجأة. والشوارع التي يسير فيها الناس بصعوبة. والفوانيس التي تضيء الأرصفة الملطخة بالطّين والمدعوسة أكثر من اللزوم. أتذكر إلى أي حد كنت أكره هذا وإذا ما أنا قررت أنه ليس باستطاعتي أن أتأقلم مع الحياة في بريطانيا، ولا أن أعمل هناك، فلأنني أحسست في لا وعيي أنه في هذا الجو الذي من القوة ومن السياسة، ومن المال، فإن الكتابة ليس لها المعنى الكافي. وبرغم انه توجد حرية كبيرة في انجلترا، بقطع النظر عن كل ما يقال، فانه لا توجد حرية فردية. في انجلترا، كل إنسان يتصرف وكأنه رقيب على جاره، أما هنا في باريس، فإننا نتمتّع بالحرية الفردية التي لا مثيل لها في أوروبا كلها. كل إنسان لا يعير أدنى اهتمام لما يفكر فيه جاره، أولما يفعله، شرط إلا يصبح غير محتمل. لكن في انجلترا، كل الناس يتدخلون في شؤون الآخرين وهو شيء لا يطاق إلا بالنسبة للإنسان الإنجليزي. في دبلن التي أمضيت فيها طفولتي وشبابي كنا نتمتع بهذه الحرية المستهامة المتأتية من غياب المسؤولية، ذلك انه في ذلك الوقت، كان البريطانيون هم الذين يحكمون. لذا كان كل واحد يقول ما يرغب في قوله. ومنذ أن وجدت دولة ايرلندا الحرة، أسمع أن الحريات تراجعت. فالكنيسة

Twitter: @ketab_n

أصبحت تتدخل في كل شيء حتى أننا غدونا أمة برجوازية، ذلك أن الكنيسة حلّت محل الطبقة الأرستقراطية. وأنا لا أرى في كل هذا أملا بالنسبة لنا على المستوى الثقافي. ما إن تمسك الكنيسة بزمام الأمور، حتى تسمح لنفسها بالتهام كل شيء. وما تتركه بقايا لا يرغب فيها أحد. ومن المحتمل أن يتواصل مثل هذا التهور إلى أن تصبح بلادنا أسبانيا ثانية.

Twitter: @ketab_n

VII

نظمت سهرة في مرسمي بشارع LA GRANDE CHAUMIERE ودعوت إليها «دافيدسون» وزوجته وصحفي أمريكي كان يقيم عند هما، وصديقي بارلو وآنسة تدعى ليدي أورد، أو ريـڤولي وجويس وزوجته.

في الصباح ذهبت إلى الجادة لشراء الحلويات، محاولا العثور على المحلات التي يمكن العثور فيها على ما يمكن أن يؤكل. وقد فكرت في الذهاب إلى شارع ريـڤولي عند RUMPLEMEYER لكي اشتري بعضا من حلوياته المشهورة. غير أنه كان بعيداً جداً. وكانت الحلويات باهظة الثمن. وكان عليّ أن اشتري أيضا أشياء أخرى. وأمضيت بقية النصف الأول من النهار في تنظيف مرسمي الذي كان بحاجة إلى ذلك. كان عبارة عن شقة جميلة جدا، بنافذة كبيرة تفتح على باحة تنبت فيها الأشجار. ومن الناحية الأخرى كان يوجد مرسم كارلا روس. وكانت القاعة فسيحة. وفوق، كانت هناك حجرة السلم حيث أنام. ومثل كل المراسم، كان مرسمي يدفأ بموقد له شكل برميل بأنبوب طويل يمر فوق حجرة السلم ويخرج من الحائط. وحين املؤه بما يكفي، كان باستطاعتي أحياناً أن أجعله يصل إلى الدرجة الحمراء، لكي تنتشر الحرارة في الأنبوب الذي يصبح أحمر داكنا. وهكذا، وبرغم النافذة الكبيرة، فإن الحرارة تكون مرتفعة حتى في أوقات البرد الشديد في شتاء باريس.

Twitter: @ketab_n

كانت ليدي يورد أول الواصلين وهي زوجة رسام، ثم جاء «جودافيدسون» وزوجته إيـڤون والصحفي الأمريكي. وكان هذا الأخير رجلا بحجم صغير، منشغل الذهن بشئ ما، ويبدو أنه كان يفكر أن هناك في مكان ما في الحياة الفنية في باريس، شيء مزيف، وأن مهمته هو إدانة ذلك وفضحه.

ثم جاء رودلف وهو أحد أصدقائي القدامى، تعرفت عليه في لندن خلال الحرب، وكان قد عمل في وكالة أسفار ثم جاء إلى باريس. وفي إحدى السهرات تعرف على سيدة فرنسية، فأعجبت بموهبته، وبسخاء منحته مبلغاً مالياً لكي يظل في باريس ويكتب. ثم قدمت أنيتا وهي فتاة من أصل ايرلندى بولوني كانت تحاول. أن تخلّص جسدها من الأمطار الايرلندية. وكانت مصحوبة بتلك الأمريكية الرائعة التي دعوتها في اللحظة الأخيرة. وكانت نصف هندية، نصف أمريكية، ومزيجاً من فينوس وأدونيس رغم أن البعض يقولون أن أدونيس هو الأكثر حضورا عندها. وأخيرا دخل جويس، ضيف الشرف، مصحوبا بزوجته. ولأن جودافيدسون كان يعرفه من قبل أو لأني كنت منشغلا بمراقبة المطبخ، فاني كلفته بتقديم جويس إلى الآخرين. وكان ذلك عملا جد صعب ذلك أن صاحب «أوليسيس» بعد أن خضع لشكليات التقديم، تراجع خطوات إلى الوراء، ولم يبذل أي جهد بعد ذلك. ورغم انه كان جد مؤدب، فإنه بدا إما متضايقا من المدعوين وإما جد خجل من القيام بأي جهد لتجاوز الوضع الذي كان فيه. أما زوجته نورا، فقد كانت أكثر انفتاحا منه على الآخرين. ولكن حين تقترب منه خطوة واحدة فقط، كانت تتغير، وتفقد انفتاحها بسرعة. و«جودافيدسون» الذي هو من أكثر الرجال الذين عرفتهم حرية وانفتاحا، كان يبذل كل ما في وسعه لكي يظل الوضع حيويا ونشطا. أثناء ذلك كنت أروح وأجيء، ملبيا طلبات المدعوين. وعندما كنت منحنيا على الموقد، طرق أحدهم الباب، ومن كان؟ كانت الغسّالة التي جاءت لتشرح لي لماذا تعذر عليها القدوم إلى مرقص:BULLIER. كانت ترتدي ثياب العمل غير أنها كانت ترغب في الدخول. همست لها بأن تساعدني في المطبخ. وحالما دخلت، صمت

Twitter: @ketab_n

الجميع صمتا تاما. ولعلهم اعتقدوا أني على علاقة معها، وهو شيء لم يكن صحيحا للأسف الشديد. لذا عدت إلى القاعة مرتبكا، ملبيا طلباتهم وأنا مشوش الذهن، خالطا بين الذين خدمتهم والذين لم أخدمهم بعد، ولكن الغسالة اختفت بسرعة بنفس الطريقة الغريبة وغير المتوقعة التي ظهرت بها. ولعلها عاينت أن ذلك الجمع من المدعوين ليسوا من ذائقتها.

انسللت بين المدعوين لكي التحق بجويس محاولا أن أدمجه في السهرة ذلك أني أنتظر منه دائما ذلك التفجر الفجائي الذي تبرز فيه قدرته الفائقة على المرح وعلى الدعابة كما هو الحال في كتبه. غير أنه ظل باردا، مؤدبا، لكنه بارد يجيب على السؤال الذي يلقى عليه، لكن لا يضيف شيئا على ذلك. وفي الواقع، في المكان الذي كان فيه مستندا إلى الحائط، خلف الموقد، كان بالإمكان أن يكون في أي مكان إلاّ يكون عندي في المرسم. وعندما كنت معه تقدم منه الصحفي الأمريكي، صاحب النظارات، ليتحدث إليه، أو بالأحرى ليجري معه حوارا. وقد تنحيت أنا مفسحا له المجال لذلك. وبالنسبة له هو الصحفي الذي يعمل مراسلا في باريس، كان من المهم بالنسبة له أن يلتقي شخصية مهمة ومعروفة خلال سهرة في مرسم. لذلك اندفع بقوة عازما على تنفيذ ما كان يرغب فيه، غيرأن جويس حافظ على هدوئه وبرودته رافضا القيام بأي شيء يمكن أن يشجع الصحفى على مواصلة مسعاه. من ناحية، كان الصحفي يحاول جاهدا فتح ذلك« المحار الأدبي» الذي أمامه متسائلا إذا ما كان الشخص الذي يتحدث إليه هو جويس الذي كتب«أوليسيس» أو نسخة مزورة منه. وفي النهاية، انسحب، خجلا مهزوما، أو بالأحرى صحفيا مهزوما. وقد سمعته يقول لـ«جودافيدسون« وهو يهز كتفيه:

ـ انه خاو تماما. لقد وضع كل شيء في كتبه.

ولم يمنعني ما سمعته من الضحك، إذ أني تذكرت حادثة أخرى ذات ظهيرة قبل ذلك بوقت قصير. كنت معَ جويس في شقته. وكنت على وشك أن أغادر عندما طلب منّي فجأة أن أبقى. وقد قال لي أن مديرين من LITTLE REVIEWسوف

Twitter: @ketab_n

يأتيان وتوسل إلى أن أساعده خلال اللقاء معهما. وعليّ أن اعترف أن هذه الفكرة فاجأتني كثيرا ذلك أن الرجلين اللذين اجتازا المحيط الأطلسي لكي يلتقيا بطلهم الأدبي لا يرغبان في أن يتم لهما ذلك من خلال وسيط. وبامكاننا أن نتصور أن جويس سوف يستقبلهما بحفاوة... لكن لا. عندما جاء ظلّ جالسا في الناحية الأخرى من الطاولة مجيبا على أسئلتهما باقتضاب شديد محاولا أن أكون أنا مشاركا في الحديث. وهذا ما أزعج الرجلين كثيرا . وفي النهاية كان على أن اهرب وأنا متأكد من أن وضعا كهذا تكرر أكثر من مرة، ذلك أن حياء جويس وحساسيته المفرطة يمنعانه من أن يتصرف بشكل طبيعي أمام أناس مجهولين بالنسبة له.

طالت السهرة، وكان المرسم يكاد يكون غارقا في العتمة، إذ لم يتبق غير نور ضعيف قادم من النافذة الكبيرة، واحمرار الموقد عندما سمعت جويس يناديني بصوت عال كما لو انه روح تصرخ من الألم في عمق الجحيم. ثم تقدم مني في الظلمة ويداه ممدودتان، ذلك أنه كان نصف أعمى تقريباً، لكي يعثر على طريقه تلمساً. وصلت في الوقت المناسب لتجنيبه لمس الأنبوب الملتهب، وكان واضحاً أن السهرات لا تسليه البتة، ومن الأكيد أنه جاء إليّ لأني أنا الذي نظمت تلك السهرة. وكان متعجلا الخروج بعد أن شعر أنه أدّى واجب الصداقة التي تربطني به. وعندما كنت أرافقه إلى أعلى المدارج الخطرة، والخطرة أكثر بالنسبة له بسبب ضعف نظره، كنت أتساءل تماما مثلما كان يتساءل الصحفي الأمريكي:«هل هو حقا الرجل الذي كتب«اوليسيس» ووصف بوب دوران وهو يبكي هي الحانة موت بادي دغمن : «أفضل الرجال كان يقول وهو ينشج ... الروح الأفضل والأجمل على وجه الأرض...».

حقاً المظاهر خداعة، و إلاّ كيف يمكن أن يتصور الإنسان أن ذلك الرجل الهش الصحة، بوجهة الناعم، وجه المثقف وبعثونه وبنظاراته السميكة هو الرجل الأكثر ثورية في تلك الفترة التي كانت تشهد كل يوم ثورات أدبية وفنية جديدة؟ وعندئذ انتبهت إلى أنه في الحقيقة جد قريب من الـFENIANS بكسوته الداكنة وقبعته

Twitter: @ketab_n

العريضة وقوة نظرته ومشيته المرنة. لقد كان متآمراً ضد الأدب عازما على تحطيم البنى الثقافية القمعية والجديرة بالاحترام والتي فرضتها علينا تربيتنا والتي كانت في طور التلاشي والتفتت. وأنا أتذكر انه قال ذات يوم:

ـ أنت تعلم أن هناك أناسا يرفضون البقاء معي في الغرفة نفسها. ولأنه شديد الحساسية كما كان، فمن المحتمل أن الخوف من أن يلتقي بأناس من هذا الصنف قادرين على إحداث الفضيحة هو الذي يجعله متوّجسّا إلى مثل ذلك الحد. ولا أعتقد أن السيدة جويس كانت واعية حقا بوضع زوجها الصعب. وفي الحقيقة هي لمّحت إلى ذلك ذات مرة عندما التقيتها في شارع باك، وكانت ذاهبة للقاء قس لسبب لا أدريه، ربما لتقر بذنوبها، وقد روت لي أن القسّ قال لها:يا سيدة جويس، أليس بإمكانك أن تمنعي زوجك من كتابة كتب جد مرعبة؟

وقد ردت عليه قائلة:

ـ وماذا بإمكاني أن افعل؟

ويبدو أن هذا الجواب على شكل سؤال هو الجواب الوحيد الممكن، ذلك أنه إذا ما كان ثوريا ومتمردا جديرا بأن يكون كذلك، فهل يقبل أن يتخلّى عن السير في الطريق الذي اختاره تحت تأثير زوجته أو تحت تأثير قس؟

وإجمالا يمكن القول أنها كانت فيلسوفة أكثر منه ودائما مستعدة أن تتقبل الأفضل والأسوأ في المعنى المتداول للكلمة. وبالنسبة لها فندق رخيص لا يختلف في شيء عن مطعم راق. وعندما يكون الأمر متعلقا بالناس، فإنها تكون أشد صعوبة حتى وإن حاولت أخفاء عواطفها وأحاسيسها الداخلية. لكن في الحياة الخاصة، فإنها تطلق جملة غريبة تكشف درجة العداوة الكامنة فيها. لم تكن تستطيع تحمل الخداع وقلة النزاهة في أي شكل من الأشكال. ومثلما أن أفضل وسيلة للدفاع عند جويس هي الصمت، فإنها أحيانا تثور في السر ضد الجانب الاصطناعي في الحياة الباريسية. وذات مرة، خلال سهرة، وعندما بدأ المدعوون يرقصون، أخذت ترقص بدورها

Twitter: @ketab_n

مترددة، وكأنها مضطرة أن تفعل ذلك. وقد قالت لي:

ـ لو كنا في غالوي لكنّا خرجنا في الحين إلى الشارع لنرقص فرحا في الغبار.

ولم تفارقها عفويتها الطبيعية أبدا، إلا عقب وفاة جويس عندما، وكما بدا لي ذلك كبتتها عمدا.

وكانت إيـڤـا شقيقة جويس رافضة لزواجهما. وكانت تعتقد أن أخاها وضع نفسه في موقع خاطئ لن يتمكن أبدا من الخروج منه. وقد حدثتني عما حدث في تريستي عندما كانوا يهيئون غرفة في الشقة التي اكتروها. وراضين عن ذلك، كانوا يصدد الاستراحة عندما أخذت السيدة جويس وعاء ، وبروح المنتصرة وضعته فوق أعلى مكان في الغرفة. وبالنسبة لـ إيـڤـا، فإن مثل هذه الحركة كانت تؤكد الأصل الوضيع لزوجة أخيها. في حين اعتقد أن ما فعلته جدير بأن يكون طرفة من طرائف «أوليسيس». و من جانبي، لاحظت دائما أن السيدة جويس تظهر ظرفا طبيعيا.والحقيقة انه لا تسمع أبدا في عائلة جويس قصصا ماجنة. حتى السفاهات كانت محرمة، وإذا ما تجرأ أحد وتفوه بها فإنه لن يظل صديقا للعائلة حتى ولو كان من أشد المقربين إليها . كما انه بالإمكان أن نقبل من قبل عائلة جويس ببرود إذا ما نحن اصطحبنا معنا فتاة التقيناها في الشارع، أو تعرفنا عليها في مقهى، وهذا ما حدث لي أنا شخصيّا. لقد كانت حساسية جويس جد مفرطة حتى انه وهو يكتب« الثيران في الشمس» التي تدور أحداثها في شارع هوليس أصبح يعاف الأكل الذي يقدم له، ذلك أن خياله كان مسكونا بأجنة ولدت قبل الأوان، وبقطيلات قطن مندوف وبروائح المطهّرات.

Twitter: @ketab_n

X

ذات ظهيرة، طلب منّي جويس أن أرافقه إلى الشقة التي سكنها عند وصوله إلى باريس، والتي كان قد منحها إياه [24] ذلك أنه كان يريد أن يأخذ كتبا تركها هناك. ولأنه كان قد حدثني عنها، فإني كنت أرغب في أن أرى الغرفة التي توجد فيها، والتي قال لي أنها مكان مثالي للكتابة. وكانت بالفعل كذلك. لها شكل «كابينة» في باخرة، وذات سقف واطئ. ولأنها لم تكن واسعة جدّا، فإني قدّرت أنه يسهل تدفئتها في الشتاء. أمّا في الصيف فإنها تكون باردة. غير أن جويس قال لي بأنه لا يحبّ أن يكتب فيها. وأضاف قائلا :

ـ لا أريد أن أكتب في مكان مغلق تماما. وعندما أكون مستغرقا في العمل، أحبّ أن أسمع الضوضاء من حولي... ضوضاء الحياة. هنا في هذه الغرفة، أحسّ كما لو أنني أكتب في قبر. ولو تعوّدت على الكتابة فيها لأصبح الصّمت ضروريا بالنسبة لي مثلما كان الحال مع بروست.

أخذ جويس كتبه وبعض الوثائق ثم وضعها في محفظة. عند خروجنا أعطى المفتاح للبوّاب. مررنا من جديد أمام البانثيون [25]. ثم سرنا في جادة سان ميشيل باتجاه نهر «السين». وبالنسبة لي كانت جادة سان ميشيل من أجمل الأماكن في باريس. فيها يشعر الانسان بالروح الخاصة للقرون الوسطى. ونحن نسير، أخذنا نتحدث عن ريمون لول[26] وعن دون سكوت [27] وعن ألبير لغراند وعن العالم

Twitter: @ketab_n

الغريب الذي ابتكروه. وقد قال جويس :

ـ أن عالم هؤلاء يمثل بحق روح أوروبا الغربية، ولو أن ذلك استمر لأصبحنا ننعم اليوم بحضارة رائعة؛ إذ إن «النهضة» كانت عودة ثقافية إلى الطفولة. قارن بين مبنى غوطيّ وآخر اغريقي أو روماني : بين نوتردام مثلاً وبين MADELEINE . أتذكر أنني وجدت نفسي ذات يوم في حدائق نوتردام وأني رفعت نظري إلى فوق لأرى سقوفها وصعوبتها المدهشة على المستوى المعماري. أما البنايات الكلاسيكية فسهلة وخالية من الغرابة. وأعتقد أن من بين الأشياء المهمة في الفكر المعاصر هي العودة إلى العصور الوسطى.

صحت مندهشاً :

ـ العودة إلى العصور الوسطى!

وأجابني جويس قائلا :

ـ نعم العودة إلى العصور الوسطى ذلك أن أوروبا الكلاسيكية التي عرفناها ونحن شباب أخذت تختفي بسرعة. والدورة عادت إلى نقطة الصفر. وهكذا سوف يولد وعي جديد يولّد بدوره قيما جديدة تعود مجدّدا إلى القرون الوسطى. لقد حدثوني عن كنيسة قديمة بالقرب من LES HALLES ، بناية داكنة اللون، تزيّنها غصنيات وزخرفاتها تمتدّ على شكل قوائم عنكبوت. وعندما نمّر أمامها نشاهد بيوت عنكبوت ضخمة تتدلّى من صدوع جدرانها. هذه الكنيسة هي الأقرب إلى أعمالي من أي شيء آخر حدثوني عنه. واعتقد أنني لو عشت في القرن الرابع عشر أو الخامس عشر، لكان الناس تقبلوني أكثر مما هو حالي اليوم، ذلك أن أهل ذلك الزمن كانوا يرون أن الشرّ تكملة ضرورية لحياتنا وأن له قيمته الروحية الخاصّة. وأنا أعاين الشيء نفسه عند شعراء اليوم الأقل سنّا.

ورددت عليه قائلا :

ـ ليس هناك جديد في الشيطانية، ذلك أنها كانت دائما وأبدا موجودة. فنحن

Twitter: @ketab_n

نجدها عند غويا وفي الأدب الاسباني وحتى في الموسيقى الغجريّة. أما في فرنسا فقد ظهرت من جديد في القرن الماضي عند كل من بودلير ورامبو .

عندئذ توقف جويس عن السير، وقرأ عليّ بصوت عال أبياتا من إحدى قصائد «بودلير»:

بعيداً عن الشعوب الصّاخبة، تائهة ومدانة،

عبر الصحاري اركضي مثل الذئاب،

واصنعي مصيرك أيتها الأرواح المشوشة.

بعدها قال :

ـ هذا هو النظام الجديد للعصر. إنَّ الصراع الدائم بين الجنسين المتنافسين والمتعاديين هو الذي يخلق الدراما الكونية. لقد كان الوعي الحاد بهذا الصراع هو الذي منح ألوانا لعالم القرون الوسطى ـ وهذا ما تدل عليه زجاجيات كاتدرائية CHARTRES[28] ..

وبعد أن توقف قليلا، أضاف قائلا:

ـ في اعتقادي، أن من أهمّ الأشياء في ايرلندا هو أننا لازلنا شعبا قروسطيّا، وأن دبلن ظلت مدينة قروسطية. وعندما كنت أتردد على المقاهي حول CHRIST CHURCH ، كنت أتذكر حانات القرون الوسطى حيث كان يتعايش المقدس والفاحش. ولعل ذلك يعود إلى أننا شعب لم يرضخ لـ (القانون الروماني)، مثلما فعلت شعوب أخرى. وعندما نقدم إلى فلاح ايرلندي عملا من القرون الوسطى، فإنه ينظر وفمه مفتوح من الدهشة، ذلك أنه يفهم فهما غامضا أن ذلك العمل لا ينتمي إلى عالمه. إن الرمزية عندنا لا تزال قروسطية. وهذا ما يميّزنا عن الانجليز، وعن الفرنسيين، وعن الايطاليين الذين هم صانعو «النهضة». لنأخذ ييتس مثلا. إنه ينتمي إلى القرون الوسطى من خلال عشقه للسحر، وإيمانه بالرموز وميله للفحش.

Twitter: @ketab_n

وروايتي «أوليسيس» هي أيضا كتاب قروسطي، لكن بطريقة أكثر واقعية. وأعتقد أن كل الفكر المعاصر ذاهب في هذا الاتجاه. وحسب علمي، سيأتي عصر إفراط ومبالغة، وأيديولوجيات، وفظائع وفواجع قد تكون سياسية وليست ايديولوجية، رغم أن الديني يمكن أن يبرز مجددا كما لو أنه جزء من السياسي. وفي هذا الجو الجديد، سوف نعاين أن الطريقة القديمة في الكتابة سوف تختفي، وأن «أوليسيس» هي الرواية التي سوف تعجّل باختفائها.

وعارضته أنا قائلا:

ـ ولكن أمريكا لا تملك أي شيء من القرون الوسطى. غير أن تأثيرها يتعاظم يوما بعد آخر. وسوف تنتج عددا هائلا من الكتب خلال الخمسين سنة المقبلة. وفي الحقيقة هي انتخبت الآن العديد من الكتب...

وبهدوء ردّ علي جويس قائلا :

ـ امريكا لها تأثير سياسي وليس ثقافيا. ولا أعتقد أنها سوف تنتج كتبا مهمة، ذلك انه لإنتاج أدب لا بدّ أن يكون للبلد رائحة، تماما مثلما هو الحال بالنسبة للخضار. وما هو أول شيء نلاحظه في بلد عندما نصل إليه؟ رائحته، التي هي معيار حضارته والتي تتسّرب إلى أدبه. ومثلما أن لـ لرابليه رائحة فرنسا في القرون الوسطى، و«دون كيخوتي»، رائحة اسبانيا في نفس الفترة التي عاش فيها «سارفانتس« فإن لـ «أوليسيس» رائحة دبلن في الزمن الذي عشته فيها.

ووافقته أنا قائلا :

ـ من المؤكد أن لكتابك فوحاناً .

ابتسم جويس وقال :

ـ نعم ... له رائحة : ANNA , LIFFEY. ربما ليست دائما رائحة طيبة لكنها خاصة.

وسألته:

Twitter: @ketab_n

ـ وما رأيك بـ والت ويتمان ؟

ـ له رائحة ... هذا صحيح. رائحة غابة عذراء أو كوخ جبلي من خشب. نوع من الكولونيالبية البدائية، لكنه ليس متحضّرا.

ـ وماذا عن ثورو؟

ـ لا .. أنا اعتبر ثورو فرنسيا أمريكيا، تلميذ : لـ BERNARDIN DE SAINT PIERRE [30]، و لـ شاتوبريان [31] ولكاتّب من نفس هذا الصنّف أدخل إلى العالم الجديد السلبية الأوروبية لنهايات القرن. هذا كل ما فعل. وهو لا يعكس بالتأكيد الروح الأمريكية كما أنا أفهمها. إن الكتاب الأمريكيين الحقيقيين كانوا حتى هذه الساعة كتابا صغارا مثل جاك لندن وبرت هارت وروبرت سيرفس .

في كندا ولديّ كتّاب من هذا الصنف، لا بدّ من وقت طويل لكي يولد فن حقيقي في أمريكا. وما يحتاجه الأمريكيون هو مزيد من الحروب إذ لا شيء يُنضج أمة من الأمم مثل الحرب، ذلك أنه خلالها يجد الناس أنفسهم فجأة وبصورة عنيفة وقد أعيدوا إلى المبادئ الأساسية. وفي الحقيقة، البعض من أجمل الأعمال الفنية في العالم ابتكرت خلال الحروب ومن قبل رجال كانوا محاربين وجنودا. وحسب المؤرخين فإن «شكسبير»حارب في منطقة الفلاندر وأمضى «سرفانتس» أعواما في السجن في الجزائر لأن بلاده خاضت حربا هناك، وفي الأوقات التي لم ينشغل فيها ببناء تحصينات لمحميه، كان «ليوناردو دوفانشي» يرسم لهم لوحات.

وقلت له :

ـ في ايرلندا، كانت هناك كثير من الحروب، غير أن ذلك لم ينتج أعمالا فنية كثيرة. بل أني أقول أن الحروب هي التي قتلت الفن هناك عندنا.

ـ ربما ما تقوله صحيح .. لكن عليك أن تتذكر أن ايرلندا لم تكن بلدا متحضرا مثلما هو الحال بالنسبة لفرنسا وايطاليا. نحن جدّ بعيدين عن التيّار الكبير للحضارة الأوروبية، والايرلندي المتوسط لا يبدو أنه تجاوز ثقافيا مجال الدين والسياسة.

Twitter: @ketab_n

والنتيجة أننا لم نخلق أبدا الكثير من الأعمال الفنية بالمعنى الحقيقي للكلمة. أعمال في الرسم أو النحت أو العمارة. والموهبة التي نمتلكها تجسّدت في الأدب. وفي هذا المجال، عليك أن تقبل بأننا حققنا نجاحات لا بأس بها، خصوصا في المسرح. إن أفضل الأعمال المسرحية الانجليزية كتبت من قبل ايرلنديين، وفي النثر عندنا ستيرن[33] وسويفت وأوسكار وايلد (إذا ما نحن اعتبرناه ايرلنديا)، ثم هناك جورج مور وآخرون....

ـ والآن هناك «أوليسيس».

ـ نعم .. وهذه الرواية هي مساهمة شخصية منّي . لقد حاولت أن ارتفع بالنثر الايرلندي إلى مستوى الأعمال العالمية الكبيرة، وأن أمثل العبقرية الايرلندية أروع تمثيل. وأملي هو أن يحظى بنفس المكانة التي تحظى بها الأعمال الكبيرة في العالم، ذلك أني كتبته بأسلوب متميّز. وإذا ما كانت لنا ميزة، فإنها تتمثل في أننا لا نشكو من المنع ومن تثبيط العزائم. الايرلندي لا يسلك حسب ما تقتضيه الأعراف والتقاليد الاجتماعية إلاّ نادرا. والإرغام يضجره كثيرا. لذا حاولت أن أكتب بشكل طبيعي معتمدا على الانفعال والتأثر، ومقوّضا العقلانية. وهذه الطريقة تسمح بالوصول إلى نتائج غير متوقعة. أما الطريقة العقلانية فلا مفاجآت منتظرة فيها ، تماماً مثلما هو الحال في الصحافة. وكلما حاول الكاتب أن يصور الواقع كما هو، إلا ووجد نفسه وقد ابتعد عن كل ما له معنى عميقاً. وعندما نكتب علينا أن نشعر القارئ أن ظواهر الأشياء في تحوّل مستمر. وهذا يتعارض مع الأسلوب الكلاسيكي الذي يشعرنا بأن الأشياء جامدة. المهم ليس ما نكتب، بل كيف نكتب. لذا أعتقد أن الكاتب الحديث بالمعنى الحقيقي للكلمة لا بدّ أن يكون مغامرا، ولا بدّ أن يكون مستعدا لجميع الاحتمالات، وأن يغرق في عمله إنْ كان ذلك ضروريّا. بمعنى آخر علينا أن نكتب بشكل خطير، ذلك أن كل شيء هو في حالة تبدل وتغيّر مستمرين. وعلى الأدب الحديث أن يعكس كل هذا. في «أوليسيس» حاولت أن أعبّر عن التغيرات المختلفة والمتعددة التي توجد في الحياة الاجتماعية وعن كل ما يعظّمها ويفسدها. لذا تجنّبت

Twitter: @ketab_n

كل ما يمتّ للأسلوب الكلاسيكي بصلة. إن الفن القروسطي أكثر ثراء وخصوبة في المجال العاطفي من الكلاسيكية التي هي فن النبلاء. ولأن هؤلاء انقرضوا ـ فعليها هي أيضا أن تنقرض. ان أعداد مخطط لكتاب شي مرفوض بالنسبة لي، ذلك أن العمل الأدبي لا بد أن يعكس التحوّلات التي تطرأ على الشخصيات..

Twitter: @ketab_n

XI

ذات مساء، قلت لجويس:

ـ الشائع عند الجميع أن «لامارتين» [35] شاعر. ولكني أعتقد أنه من الناثرين الجيّدين.

وردّ جويس قائلا:

ـ «لامارتين» شاعر سيء، وناثر سيئ أيضا. والحقيقة أني لا أعرفه جيّدا ذلك أنه ليس بالكاتب الذي يهمّني كثيرا.. وأنا لا أتحمل رمانسيته المبالغ فيها، وصوفيته المصطنعة وكثرة أوصافه. مع ذلك أحببت قصيدته: «البحيرة».

لنعشق اذن، لنعشق!

ولنتمتّع باللحظة الهاربة قبل فوات الأوان!

لا مرسى للإنسان، ولا ضفة للوقت

انه يتدفق، ونحن العابرين!

وقلت لجويس بأن الأبيات التي قرأها عليّ ليست شيئا متميّزا بالرغم من أن «البحيرة» هي أفضل القصائد التي كتبها «لا مارتين». وأضفت بأن «تأملات» هي أفضل مجموعاته الشعرية، أما أفضل كتبه النثرية فهو غرازيليا.

وعلّق جويس على ما قلت :

Twitter: @ketab_n

ـ لقد قرأت هذا الكتاب منذ فترة طويلة. وفيه يروي علاقته مع فتاة ايطالية. وما اعتقد أنه كتاب مهمّ إنما هو عاطفي أكثر من اللزوم وكأن صاحبه يرغب في الاّ ينقطع الذين يقرأونه عن البكاء. وما أنا أعيبه دائما على «لامارتين» هو عدم نزاهته ككاتب.

وقلت له :

ـ الأمر لا يتعلق بالنّزاهة وإنما بالموهبة. وأعتقد أن «لامارتين» موهوب حتى ولو كان لأعماله مذاق الثمرة التي بدأت تتعفّن. أمّا في غرازيليا فقد ابتكر موسيقى خاصة به مثبتا أنه كاتب غنائي وليس كاتبا مثقفا.

وقال جويس:

ـ هل تريد أن تقول بأنني كاتب مثقف؟

ـ لا ... ليس ذلك تماما. أعمالك الأولى كانت غنائية. وهذا هو حال العديد من القصص التي احتوتها مجموعتك «أناس من دبلن»، وأيضا «صورة الفنان شابا». أما «أوليسيس» فليست غنائية. وربما لهذا السبب هو لا يثيرني كثيرا. ما يثير إعجابي هو الإلهام.

ـ يبدو لي أنك تخلط بين الاندفاع الرومانسي وبين الإلهام. الإلهام الذي يعجبني ليس مسألة مزاج، وإنما هو التسلسل المنطقي للفكر المبني، كما هو الحال في «رحلات غوليفر»، وعند دفو [36] وحتى عند «رابليه». أما أعمال «لامارتين» فهي فيض من العواطف.

ـ من الشعر..

ـ من الشعر الكاذب.

ـ اعترف أن غرازيليا ليست عملا أدبيّا كبيرا. يمكن أن نجدها عاطفية، ولكنها تصور الحياة كما يراها الكثير من الناس: الحياة في الفضاءات المفتوحة على ضفاف المتوسط. وهذا يتعارض بشكل جميل مع الكتب الحديثة التي هي في أغلبها كتب

Twitter: @ketab_n

«مدينية» (نسبة إلى المدينة) تتحدث عن الحياة المصطنعة التي يعيشها الناس في المدن الصغيرة أو الكبيرة.

ـ ذلك لأن المدن تحتل اليوم مكانة بارزة في حياتنا. إنه عصر هيمنة المدن. إن التقدم الذي تحقّق في جميع المجالات التكنولوجية هو الذي خلق مثل هذا الوضع.

ـ إنه الانحلال والانحطاط.

وهزّ جويس كتفيه ثم قال:

ـ إن هدف الكاتب هو وصف حياة عصره. وأنا اخترت «دبلن» لأنها قلب ايرلندا اليوم.. ولا يمكن تجاهل مثل هذا الأمر.

ـ ولكن لنعد إلى غرازيليا .. أنا لا اعتقد أنه كتاب عاطفي من الصنف السخيف كما أنت ترى. فالطريقة التي وصف بها «لامارتين» غرازيليا كانت جدّ مباشرة. وعندما نقرأ الكتاب، بإمكاننا أن نعي بشكل حاد غرابة وجودها. إن القصة المباشرة ترسم في نظري جوهر الكائن بشكل أفضل من الأعمال الحديثة المتصنّعة. في الحياة، بإمكاننا أن نعاين أحيانا غرابة الوجود في حركة بسيطة. وجهل غرازيليا هو الذي يكشف لنا عن جوهر روحها. وعبر ألوان ورنّة الكلمات التي يستعملها، يتوصل الكاتب إلى إبلاغ المشاعر التي يحسّ بها وليس عبر التحليل الثقافي.

ـ في ما يتعلق بدور الكلمات، أنا متّفق معك. أعلم أنني عندما كنت أكتب«أوليسيس»، حاولت أن ارسم حياة «دبلن» من خلال رنين الكلمات وألوانها، مختارا ما يناسب منها لتصوير الجو الرمادي لكن المتلألئ للمدينة، وأبخرتها الملوّثة، وفوضاها الحقيرة، وأجواء حاناتها، وركودها الاجتماعي. الفكرة والعقدة ليستا مهمتين، كما يظنّ البعض. إن هدف كل عمل فني هو تبليغ انفعال معيّن. وأنا لا أستطيع أن أفهم إعجابك بالرومانسيين.. وإذا ما كان هناك أسطورة محقّرة، فهي أسطورتهم.

وأجبته :

Twitter: @ketab_n

ـ ولكنها أسطورة ستدوم طويلا .

ـ ربما .. ولكن الواقعية تعيدك إلى الوقائع التي يقوم عليها العالم. تلك الواقعية المباغتة التي تحوّل الرومانسية إلى هشيم. والشيء الذي يجعل حياة أغلب الناس شقية هو تلك الرومانسية الخائبة. وفي الحقيقة يمكننا أن نقول أن المثالية هي دمار الانسان. ولو كنا نعيش على مستوى الواقع، مثلما كان يفعل ذلك الانسان البدائي، فإننا سنكون أفضل حالا. إن الطبيعة ليست رومانسية مطلقا. نحن الذين نجعلها رومانسية. وهذا أمر غير معقول. في «أوليسيس» حاولت أن أظل قريبا من الواقع. طبعا هناك الدعابة والسخرية، وذلك أنه حتى ولو كان وضع الإنسان اليوم مأساويا، فإنه يتعين علينا ألا نفقد أمامه فنّ الدعابة وقدرتنا على الضحك والسخرية منه.

Twitter: @ketab_n

XII

مرّة، التقيت بجويس صدفة في CHAMPS-ELYSEES وجلسنا لنشرب كأسا عند BERRY بمركيزته الحمراء وبكراسيه التي بلون التّبن الموضوعة على الرصيف. كانت الساعة تشير إلى السادسة. وكانت السيّارات تسرع باتجاه قوس النصر والسماء شاحبة فوق سقوف البنايات المواجهة. أمامنا أشجار الجادة الكبيرة التي كانت خضراء داكنة تلمع بذلك الضوء الذي هو مزيج من الضوء الاصطناعي والضوء الطبيعي. وعندما كنا نشرب CINZANO، قرأ علي جويس أبيانا من «الأرض الخراب».

أو أو أو أو هذا النغم الشكسبيري إنه رشيق جدّاً

ذكي جدّاً

«ماذا سأفعل الآن. ماذا سأفعل؟»

سأندفع خارجاً كما أنا، وأسير في الشارع

«مسدل الشعر، هكذا، ماذا سنفعل غداً؟

«ماذا سنفعل أبداً؟»

الماء السّاخن في العاشرة.

وان امطرت، عربة مغلقة في الرابعة.

Twitter: @ketab_n

وسنلعب دور شطرنج،

مطبقين عيوناً لا أجفان لها ومنتظرين قرعة على الباب.

ولأن جويس لاحظ أني لم أعر اهتماما لهذه الأبيات التي قرأها لي، فإنه التفت إلي وقال:

ـ أرى جيّدا أنك لا تحب «اليوت».

ـ لا أحب هذه الأبيات التي قرأتها. مع ذلك، أعترف أنه كتب قصائد رائعة. بالنسبة لي لا بدّ أن يكون الشاعر جديّا. ولتوضيح ما أقول قرأت له الأبيات التالية لـ: SORDELLO :

لا من تيهان بعد في الطرقات المحفورة

في هبوط الليل، يا «سورديلو»، بالقرب من

صفوف الأشجار الشائكة الوفيرة بالحباحب، ولطخات

مشعّة من الندّى والنّار، تتراءى بشكل خيال سهم

شجرة السّرو السوداء، هي تنتظرك، هي «ايليس»،

التي كانت قد أنصتت إليك من قبل وأنت تغازلها

خلال أشهر الثلج، لكن قبل أن تتجاسر وتجيبك

كان شهر نيسان قد أقبل. وطول الوقت الذي كانت فيه أشجار

الزيزفون تزهر، ظلت هي مسبلة الأجفان. والآن شهر تموز

الملتهب. وكما لو أنها بيضاء بالغبار،

تواري السّحب طرف الغابات، هنا أو بالقرب من دردار

القرية التي تحتفظ بالقمر، وهي تأتي إليك شاحبة قليلا ...

بعد ذلك قلت لجويس:

ـ لاحظت جدّية هذه الأبيات، وثقل الانفعالات الصاعدة منها، وثراء الصّور.

Twitter: @ketab_n

غير أن جويس انتقدها بقوة قائلا:

ـ هذه الأبيات مليئة بالكليشيهات التي استعملها الكثير من الكتاب «تيهان في الطرقات المحفورة... «الحباحب» ... «سهم شجرة السّرو...» والفتاة التي تنتظر في الغابة والتي ترفض أن تعطي جوابها في شهر نيسان... أوه.. يا إلهي.. ألم نتعب من كل هذا !! هذه الأبيات مكتوبة حسب الطريقة التقليدية.. الميّتة..

ـ ولكن هل التقليد يموت؟ ما هو الفن إذن إذا لم يكن شكلا يستعمل مرات ومرات لكن بشكل مختلف؟

وردّ عليّ جويس :

ـ إن «الأرض الخراب» هي التّعبير عن عصرنا. و «اليوت» يبحث عن الصور المفعمة بالانفعال. ولأنه ليس تقليديا فإنك لا تحبّه ... أليس كذلك؟

ـ ثمة شيء من الصحة في ما قلت، ذلك أني لا أؤمن بالخلق الفني خارج التقاليد القديمة؛ إذ إن التقاليد القديمة هي الحكمة التي تجمعت عبر العصور. أنا أعترف أن «اليوت» كتب بعض الأبيات الجيّدة، بل قصائد جيّدة. غير أن الرجل في مجمله لا يرضيني...

ـ وهل هناك رجل يمكن أن يرضيك في مجمله؟

ثم جرّنا الحديث في ما بعد إلى الرسم. والشيء الذي لاحظته هو أن جويس لا يعير الفن الحديث في مجال الرسم اهتماما يذكر. كان يهتم بالموسيقى، أما الرسم فكان بالنسبة له فنّا بلا قيمة كبيرة. وباستثناء صور أفراد عائلته التي كان يوليها اهتماما عاطفيا، فإن اللوحة الوحيدة التي يعلقها في بيته هي لوحة VER MEERكان يعتز بها كثيرا. لكن عموما هو لا يهتم بالفن الحديث الذي كان حديث الناس في باريس في ذلك الوقت. «بيكاسو» و«براك» و«ماتيس» لم يكونوا يعنون له شيئا كبيرا. أما أنا فقد كنت أهتم بفن الرسم أكثر من اهتمامي بالأدب. وبحكم عملي كناقد فنّي لصحيفة NEW YORK HERALD فإني كنت أتابع الحركة الفنية بانتباه وحرص

Twitter: @ketab_n

شديدين. وأحيانا، حين أتمشى مع جويس في شارع SEINE ، كنت أتوقف أمام واجهات هذا «الغاليري» أو ذاك وأسأله عن رأيه في آخر لوحة لـ«بيكاسو» أو لـ«براك». غير أنه كان ينظر إليهما بعدم اهتمام ثم يسألني: «وما هو ثمنها؟».

وكان لموقفه من الرسم نتيجة غريبة. مرة طلب مني أن أبحث له عن رسام يرسم «بورترية» لوالده في «دبلن». اقترحت عليه إثنين غير أنه رفضهما. لكن لما اقترحت عليه PATRICK TYOHY قبله بسرعة، ذلك أنه يعرف والده. وفعلا جاء THOHY إلى باريس وشرع في العمل. وعندما أزور جويس في شقته أجده هناك جالسا على الأرض، مستغرقا في العمل. لكن شيئا فشيئا بدأ جويس يضيق بوجوده. وبدأ TUOHY يهاجمه ويغتابه في غيابه. مرة دعوتهما لشرب شاي عندي في المرسم. وأذكر أن TUOHY صعد المدارج بسرعة ثم جلس على كرسي قرب الباب. وعندما دخل جويس أخذ يصفق بنوع من السخرية. وأثناء الحديث كان يقاطع جويس طول الوقت ملمحا إلى أنه لا يحب ما يكتبه. وخلال تلك السهرة تعرّف TUOHY على أمريكية. وفي ما بعد سافر معها إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقر في نفس البيت الذي تقيم فيه عائلتها. وكان يبعث إليّ برسائل يشتكي لي فيها من الأمريكيات الجنوبيات الجميلات اللاتي «جنّنه» حسب تعبيره إلى درجة أنه أصبح لا يدري ما يفعل ولا ما يقول. ثم انقطعت عني أخباره. وذات يوم وصلتني برقية تقول أن TUOHY انتحر في «نيويورك». ولم أكن أعرف أنه في نيويورك. ويبدو أنه سدّ جميع الشقوق بالجرائد في الغرفة التي كان يسكنها ثم فتح الغاز. ولم يكتشف النّاس ذلك إلا عقب مرور 15 يوما على وفاته!

وعندما علم جويس بذلك، لم يظهر أدنى اهتمام ، واكتفى بالقول :

ـ هذا أمر لا أستغربه. فهو نفسه وضعني على حافة الانتحار!

Twitter: @ketab_n

XIII

ملمّحا إلى أعماله، قال لي جويس ذات يوم:

ـ أن ندين كاتبا بدعوى أن عمله ليس مبينا بطريقة منطقية، فهذا نقد هزيل، ذلك لأن هدف العمل الفني ليس رواية وقائع وأحداث، وإنّما تبليغ وتوصيل انفعال. بعض من أفضل الكتب في العام بلا معنى. خذ مثلا «شارتروز بارم» التي قلت أنك لاتحبها. صحيح أنه لا أحد يأخذ المغامرات والأحداث التي تدور فيها مأخذ الجد. كما لا يمكن أن نأخذ مأخذ الجد «رحلات غوليفر». وإذا ما نحن اعتمدنا على الاتجاهات الحديثة، فإن كل الفنون تتجه نحو التجريد كما هو الحال في مجال الموسيقى. وما أكتبه في الوقت الراهن يتجه نحو هذا الهدف، ذلك انه كلما أجبر الكاتب نفسه على التعلق بالأحداث، وجد نفسه مقيدا. الفكر هو الذي يتحكم في الوقائع، وليست الوقائع هي التي تتحكم في الفكر.

ولم أقل شيئا ، ذلك أني تأكدت مع مرور الأيام أني مختلف كليا عن جويس في رؤيتي للأدب والفن.

فأنا مثلا أرى أن هدف الكاتب هو متابعة التسلسل المدهش للأحداث وليس احتقارها كما فعل جويس في «يقظة فينيغن». ففي نهاية الأمر، الانسان الكوني ليس المثقف، وإنما الإنسان الذي يجترح انفعالاته وحياته نفسها من الواقع. ولما ذكرت «الإنسان الشبقي» سألني جويس عن معناه فأجبته قائلا:« هو الإنسان العادي،

Twitter: @ketab_n

ذلك الذي يبدو بلا هدف، ولا طموح، والذي يعمل لكي يحصل على لقمة العيش، والذي تتوقف رغباته وملذاته عند حدود جسده، والذي تكمن مصلحته الأساسية في مغامراته العشقية أو في احتكاكه الانفعالي بالحياة اليومية...» وقد ردّ علي جويس قائلا:«أنا لا أعيره نفس الأهمية، ذلك أنه بالنسبة لي ثمرة أناس أكثر ذكاء وحنكة منه. ولا آراء له غير تلك التي يغرسونها فيه.

ورددت أنا عليه قائلا :

ـ ربما ليست له آراء الآن، لكنه يحصل عليها عندما تقتضي الضرورة ذلك. وإذا ما كان العمل الفني خاليا من هذا العنصر الشبقي عند الانسان العادي فإنه يكون ضعيفا وبلا قيمة. لنأخذ «همنغواي». لقد بدأ يشتهر لأنه متفرد. ولكن تفرده كاذب. ومواضيعه تبعث على الغثيان في الحياة، ومع الزمن، ستبعث على الغثيان في الأدب بنفس الطريقة. والقصص التي يكتبها هي قصص مدمنين على الكحول، ومختلين، وأناس يعيشون في صحاري من العنف، وبلا عواطف عميقة. وما يكتبه «همنغواي» هو في نظري عمل صحافي وليس عمل كاتب بالمعنى الحقيقي للكلمة.

وعلّق جويس على ما ذكرت قائلا :

ـ لقد رفع الحجاب الذي يفصل الحياة عن الأدب. وهذا ما يسعى إليه كل كاتب. هل قرأت له مثلا «مكان نظيف وجد مضاء»؟

ـ نعم .. قرأت هذه القصة. وأعتبرها من أفضل ما كتب. وأمنيتي أن يرتقي بفنه إلى هذا المستوى.

ـ إنها قصة عظيمة... وفي الحقيقة هي من أفضل القصص التي كتبت إلى حدّ هذه الساعة.

ـ هل قرأت : BEL AMI لـ «موباسان»؟

ـ نعم .. قرأتها منذ زمن طويل. إنه كتاب حيّ ومسلّ. وأتصور أنه يصور

Twitter: @ketab_n

باريس في سنة 1880 بطريقة جيّدة ، لكنه ليس كتابا عظيما.

ـ ولكن «موباسان» أهمّ من «همنغواي» الذي تصور قصصه عالما قاسيا وعنيفا، عالم كحوليين ومرضى جنسيّا. قد يكون هذا مبالغا فيه من جانبي، غير أني أمقت الانسان المدمن على الكحول. أن الإدمان على الكحول هو شكل من أشكال الإهانة الخفية للعالم. وهو يدنّسه أكثر من أي شيء آخر. وهذا ما أنا أجده عند «همنغواي».

وسألني جويس:

ـ وهل الجماع هو أيضا يدنّس العالم؟

وأجبته قائلا :

ـ لا .. الجماع مرتبط بالحب. لذا لا يمكن مقارنته بالإدمان على الكحول.

ـ إذن أنت لست متفقا مع «توماس الاكويني» الذي يرى أن الجماع هو موت الروح؟

ـ أفترض أنه بالنسبة للمسيحية كل علاقة جسدية هي موت الروح، ولكني لست رجلا مؤمنا، ولا أمتلك معنى واضحا لكلمة «روح» التي يمكن أن يكون لها الكثير من المعاني بحيث يصبح من الصعب عليّ أن أعثر على أفضلها.

ثم هزّ جويس كتفيه، واستدار ليشرب كأسه وكأنه يريد أن يقول لي بأنه لا فائدة من مواصلة النقاش حول مواضيع تجريدية. ومستجيبا لرغبته عدت إلى موضوع نقاشنا في البداية، وقلت له:

ـ هناك كتّاب قصة أفضل من «همنغواي» . «بروسبير ميريمي» مثلا في «كارمن»...

وقال جويس :

ـ هي قصة ممتعة. هذا مالا شك فيه. لكنها ليست بمستوى قصص «تولستوي». ولم يكن «بروسبير ميريمي» كاتبا مهمّا لكنه وفّر مادة جيدة لأفضل «أوبرا».

Twitter: @ketab_n

ولم أشأ معارضة جويس بخصوص هذا الموضوع، ذلك أني أعرف أنه شخص متعقل، ولا يصبح عنيدا إلا إذا ما تعلق الأمر بمواضيع ثلاثة. أولها «ابسن» الذي كان يعتبره من أفضل كتّاب المسرح على المستوى العالمي، و«كارمن»، والمطاعم. وكان موضوع المطاعم هو السبب الأساسي في القطيعة التي حدثت بيننا. حدث ذلك عام 1931. وقتها كان جويس يقيم في لندن استعدادا للزواج رسميا من «نوار» التي رافقته في مغامراته المحفوفة بالمخاطر دون عقد زواج. وكان يسكن شقة في شارع تنتصب على جانبيه عمارات من الآجر الأحمر، وينطلق من KENSING TON . HIGLH STREET

كان يمقت أجواء لندن، لذا كان يبدو حزينا، مستوحش النفس.

ذات مساء، قررت أن آخذه في سيارتي الجديدة التي كنت فخورا بها لتناول العشاء في مطعم على طريق بورتسموث . وكان مطمعا معروفا، وله سمعة جيّدة، لذا كان يرتاده المشاهير من الناس. غير أن الأكل كان رديئا. وهذا ما أغاظ جويس على ما أظن. وعندما ركبنا السيارة باتجاه لندن، ظل صامتا، وفي ملامحه ما يدل على أنه لم يكن راضيا مطلقا عن السهرة. ثم باذلا مجهودا ليكون ودودا معي، قال :

ـ لقد تلقيت أخبارا جدّ مهمة هذا اليوم!

ـ وما هي.

ـ ابني جيورجيو وزجته هيلين أصبحا والدين... لقد أنجبا ابنا.

ولم أظهر أي تأثر بالخبر.. واكتفيت بأن قلت له :

ـ هل هذا كل شيء؟!

ـ إنه أهم شيء بالنسبة لي. ردّ جويس بصوت مفعم بالمعاني

ـ ولكن هذا يحدث كل يوم!. قلت

وغرق جويس في الصمت مرة أخرى وعندما نزل من السيارة كنت متيقنا أن علاقتي به انتهت. مع ذلك ظللت أزوره خلال السنوات التي أعقبت ذلك. وآخر

Twitter: @ketab_n

لقاء لي معه تم في شقته الكائنة في شارع قريب من CHAMPS ELYSSES. تحدثنا عن ردود الفعل المختلفة التي أحدثتها أعماله. وعندما بدأت استعد للمغادرة، تهالك على الكرسي، وبدا متعبا أكثر من أي وقت مضى، ثم قال بعد أن أطلق زفرة عميقة:

ـ أعتقد أن أعمالي بورجوازية.

ولم أفهم ما قال. ولعله قال ذلك تلميحا إلى مقـــال كتبه عنه W. LEWIS وفيه هاجم مواقف جويس السياسية.

وذات صباح، في الأيام الأولى للحرب الكونية الثانية، هاتفتني جريدة IRISH TIMES لتطلب منّي كتابة مقال قصير عن جويس الذي مات. وصعقني الخبر حتى أني ابتعدت عن السماعة وأنا في حالة من الحزن الشديد، ذلك أن جزءا مهما من حياتي في باريس كان مرتبطا ارتباطا وثيقا بجويس وبزوجته، والاثنان كان وفيّين للصداقة حتى أني كنت أشعر بأنني فرد من أفراد العائلة. غير أن تلك الصداقة لم تنتهِ بل فقدت قوتها ، مثلما صداقات كثيرة أخرى، عندما يضع كلٌ من الزمن والبُعد يديهما الباردتين ليفصلا بين صديقين حميمين.

Twitter: @ketab_n

VIII

ذات يوم، ذهبت لمقابلة جويس. وكنت قد عثرت بالصدفة على مجلد من كتاب بلوتارك: «السير المقارنة» والذي كنت قد قرأته من قبل. وكنت دائما أتساءل لماذا لم أقرأ شيئا عن هذا الكتاب والذي لم أسمع عنه قبل ذلك أبدا.

والكتاب الذي عثرت عليه يبدأ بحياة فوسيون التي لم أقرأها، ويتواصل بحياة كاتون أصيل «أوتيك» الأفريقيّة والتي قرأتها على عجل ذلك أن رجال القانون ورجال السياسة لا يهموني بصفة خاصة. ثم بعد أن قلبت بعض الصفحات، قرأت حياة.« انطونيوس». وهو الذي أثار خيالي. فقد بدا لي انه الشخصية التي تجسد العالم القديم عن جدارة. وقد قلت لجويس:

ـ قصة انطونيو وكليوباتر» هي من أنبل قصص الحب حيث العشق ينتصر على الثروة وعلى السلطة. وأخيرا علينا ألا تنسى الاحتقار الشجاع للموت الذي أظهراه.

ووافق جويس على ما قلت قائلا:

ـ نعم، المسيحية هي التي جعلتنا نخاف الموت ذلك أنه في أيامنا هذه يعيش الناس منقسمين إلى قسمين. رغبتهم في الحياة مقموعة ومعطلة بسبب الخوف من الموت، حتى أنه لم يعد بإمكاننا أن نعرف إلى أي وجهة نولي وجوهنا، وان حياتنا الخاصة والعامة على حدّ سواء، أصبحت ملخطة بالاتفاق. الوثنيون يواجهون

Twitter: @ketab_n

الموت بنفس الشجاعة التي يواجهون بها الحياة. وكانت فلسفتهم «حياة واحدة، وموت واحد». غير أني لا أرى لماذا أنت اخترت «انطونيو» كبطل، فلقد كان هناك رومان كثيرون أعلى منه شأنا وقيمة.

ـ ذلك أن«انطونيو» يتطابق مع الفكرة التي أحملها عن الإنسان في المعنى الحقيقي للكلمة. وأعتقد أنه كان قادرا على أن يتخلى عن حياة الترف والفسق التي كان يعيشها ، وكما وحدهم الرومان يفهمونها، لكي يتحمل أشد أنواع الحرمان، وهذه كانت حالته مثلا عند خلوته في الناحية الأخرى من جبال الألب، وفي حياته عاش كل أنواع الترف وكل أنواع الحرمان. وفي «بلوتارك» وجد المؤلف الجدير به وبحياته. وأنا أعشق ما كتبه هذا الأخير عنه. فهو نص وجيز، واضح، ومفعم بالخيال. ومنذ ذلك الحين حاولت أن اقرأ« انطونيو وكليوباترا» لشكسبير، غير أني ضعت في محيط من الكلمات. هناك في نص«بلوتارك» توتر درامي نحن لا نعثر عليه، حسب رأيي، عند شكسبير. الحياة واضحة وزاهدة وقاسية. وهي تستطيع أن تكون كذلك. وأنا أفهم لماذا لا يهتم رجال الفعل بالكتب كما عاينت ذلك بنفسي باعتبارها شيئا ثانويا يمكن أن يكونوا في غنى عنه.كما أفهم أيضا لماذا هم يحتقرون المثقفين، والأدباء.

ـ إنه رد فعل انفعالي من جانبك أنت. فأنت مفتون بالخلفيّة العجيبة لحياتهم والتي تستجيب لطبيعتك الرومانسية. وبإمكاني أن أقول أنك تتكلم مثل إنسان غير مثقف وغير مستنير.

ـ ربما أنت على حق. لكن الكاتب الجيد نفسه يحمل في ذاته أكثر من جاهل وغير مستنير.

ـ نعم... إلى حدّ ما هذا صحيح، ذلك أن الكاتب ليس عليه أن يكتب لأشباه الفنانين. وأعماله لابد أن تعتمد بقوة على وقائع حقيقية. ولقد قلت أن رجل الفعل يظهر الاحتقار للفنان والكاتب. غيرأن هذا رأي سطحي ذلك انه بدون الكاتب فإن أعمالهم تتلاشى وتزول وتُنسى وتغرق في الغبار الذي أثاروه. إذن، لابد من

Twitter: @ketab_n

فنان مثل«بلوتارك» لكي يبعث الحياة فيهم من جديد. لذلك يمكن أن تقول أن رجال الفعل ورجال الخيال يتكاملون. وأظن أن الرومان كانوا مدركين لهذه الحقيقة أكثر من غيرهم من الشعوب، ذلك أن الأباطرة والجنرالات ورجالات الدولة كانوا أصدقاء لأصحاب القلم. وإذا ماهم غزوا مدينة، فإنهم يدخلونها دائما وهم مرفقون بفيلسوف أو بمثقف معروف في تلك المدينة، ممسكين بيده حتى يؤكدوا لسكانها حسن نواياهم. أما في أيامنا هذه، فقد اصبحنا اقل تحضرا منهم. وأنا لم افهم بعد ماذا كنت تقصد بكلامك في البداية.

ـ وأجبت جويس قائلا:

ـ ما أريد أن أقوله هو أن الأسلوب الكلاسيكي يبدو لي الشكل الأفضل في الكتابة.

ـ ورد جويس:

ـ قد يكون صحيحا ما قلت: ذلك أن الشكل الكلاسيكي في الكتابة خال أو هو يكاد يكون خاليا من الغرابة. ولكن بما أننا محاطون دائما بالغرابة، فانه يبدو لي غير مناسب. باستطاعته أن يصف وقائع معينة ومحددة، لكن حين يكون الأمر متعلقاً بالتيارات الغامضة والسرية للحياة، والتي تتحكم في كل شيء، فإنه يفقد قدرته على تصوير كل هذا، ذلك أن الحياة مسألة معقدة للغاية. وقد يكون تقديمها خالية من التعقيد كما يفعل ذلك الكلاسيكيون أمرا مستحسنا ومرغوباً فيه، غير أن ذلك لا يرضي العقلية الحديثة؛ إذ أن هذه الأخيرة تهتم قبل كل شيء بالخفايا وبالألغاز وبالتعقيدات اللامرئيّة التي يعيش الإنسان المتوسط تحت سيطرتها والتي منها تتكون حياته.

ويمكنني أن أقول أن الأدب الكلاسيكي يمثل النهار المضيء للشخصية الإنسانية، في حين يهتم الأدب الحديث بوقت الأفول، أي بذلك الوقت الذي يسبق الغروب، وبالروح المطاوعة والسلبية أكثر من الروح العملية والايجابية.

Twitter: @ketab_n

ومع أننا واعون بان الكلاسيكيين حفروا حتى النهاية في العالم المادي والفيزيقي، فإننا نرغب الآن في استكشاف العالم المخفيّ، وفي تلك التيارات اللامرئية التي تتدفق في الأعماق: تحت سطح الواقع الذي نحن نعتقد أنه شديد الصّلابة. غير أن تربيتنا مؤسّسة على الكلاسيكية وأغلبنا يمتلكون فكرة جدّ محدّدة عن الصورة التي يجب أن يكون عليها الأدب، وأيضا الحياة. لذا، نحن الكتّاب المحدثين متّهمون بالانحراف. غير أن أدبنا ليس أكثر انحرافا من الأدب الكلاسيكي. وعلى أية حال، كل فن هو في النهاية منحرف، ذلك أنه عليه أن يبالغ في تصوير بعض العناصر لكي يحصل على العنصر الذي يبحث عنه، وفي وقت معيّن يتقبّل الناس هذا الانحراف الحديث المزعوم، ويعتبرونه حقيقة. إن هدفنا هو خلق التحام جديد بين العالم الخارجي وذاوتنا المعاصرة لتوسيع لغة الشعور الباطني، مثلما فعل ذلك مارسيل بروست. نحن نعتقد أنه في الشاذ يمكننا أن نكون أقرب إلى الواقع. عندما نعيش حياة عادية، فنحن نعيش حياة تقليدية، متبعين نظاما مسطراً لنا من قبل أناس ينتمون إلى جيل آخر، عادة ما يكون الجيل السابق لجيلنا، نظاما موضوعيا فرض علينا من قبل الكنيسة أو من قبل الدولة، غير أن على الكاتب أن يخوض صراعا دائما ومستمرا ضد الهدف المحدد: وهذا هو دوره. إن الخاصيات الأدبية، الخيال والغريزة الجنسية، تبذل الحياة التقليدية كل ما في وسعها لخنقهما معا. ومن رحم هذا الصراع تنبثق ظاهرة الحياة الحديثة. وفي المشهد الذي رسمت وقائعه في شارع مابوت، اقتربت حسب رأيي من الواقع أمثر مما ينبغي، وأكثر من أي فصل آخر في الكتاب. وربما أكون قد فعلت ذلك في بعض المقاطع من الفصل الأخير. ما يهمّ الإحساس الذي يرتفع إلى مستوى الهلوسة. وحسبك أنت، فإن قصة «انطونيو» رويت من طرف بلوتارك» بطريقة مختصرة، وواضحة، ومليئة بالخيال. والحقيقة أن ما هو ممتلئ بالخيال هو عكس ما هو مختصر وواضح. ورأيي أن النص مختصر أكثر مما واضح ومليء بالخيال. فالمليء بالخيال حقا هو عكس ما هو مختصر وما هو واضح وبالنسبة للمحيط، أو بالنسبة لـ «الخلفية»، خلفية الكلاسيكيين

Twitter: @ketab_n

والرومانيين فإنها عادة ما تكون خالية من الواقع بالنسبة لأغلبية الناس. وما أعتقد أن لها علاقة بالحياة التي يعيشونها ولا مع الواقع الذي فيه يتحركون ويعملون. وإذا ما نحن أردنا أن نرسم أفول الشخصية الانسانية، فإنه يتحتّم علينا أن نعتّم المشهد أيضا. إن المثالية تفاهة لطيفة. ولكن في هذا الوقت الذي يدوسنا فيه الواقع، لا أعتقد أن المثالية تهمّنا. كما أنها لا تسلّينا مطلقا. ونحن نعتبرها مجرّد قماشة الخلفية في المسرح. أغلب الحيوات، على صورة موضوعات الرسامين الحداثيين، تتكون من جرار ومراجل وقدور وصحون وشوارع بائسة، وأكواخ يسكنها أناس وسخون وآلاف من الأحداث اليومية الكريهة التي تتسرّب إلى وعينا مهما كانت الجهود التي نبذلها لكي نمنعها من الدخول. ذلك هو ما يؤثث حياتنا والذي تريد أنت أن ترمي به بعيدا لتعوّضه بخلفية رومانسية لا معنى لها ولا قيمة.

وقلت له: أعترف أنني أفضّل الاحتفاظ بأوهامي». وردّ علي قائلا:

ـ أنت ترتكب هنا خطأ ... ذلك أن واقع الأشياء كما هي أكثر إثارة. إن الكاتب اليوم يمتلك فكراً قادراً على تثمين الاثنين معاً، واضعاً كل واحد في تعارض مع الآخر. وقد حصل على نتائج جيدة في هذا المضمار. صحيح أننا لا نستطيع أن نتخلّص تماما من الماضي، وأنه علينا أن نأخذ العالمين بعين الاعتبار. غير أن العالم المخفي، عالم ما تحت الشعور، هو المهم، والمثير أكثر من الأول، والكاتب الحديث يهتم بكشفه، ويرصد أغواره يتعرف على ما يدور فيه ....

تحدثنا عن «رحلة إلى الكونغو» لأندريه جيد والتي روى فيها مغامراته عندما رافق بعثة إشهار لشركة سيتروين في إفريقيا. وكان جويس يكنّ إعجاباً كبيراً لجيد. وفي الواقع كان الكاتب الفرنسي الوحيد، بل الكاتب الحداثي الوحيد الذي كان يثني عليه، ويتحمس له حماسا شديدا. وأنا نفسي كنت أنتظر بفارغ الصبر كتاب جيد، ذلك أنني كنت أعتقد أن بينه وبين افريقيا المجهولة علاقة تفضي إلى شيء رائع، غير أنني أصبت بخيبة كبيرة رغم الاهتمام الكبير الذي كان يوليه صاحب «اللاأخلاقي» للقارة السوداء. العنوان الحقيقي هو: «رحلة إلى الكونغو ـ دفاتر

Twitter: @ketab_n

طريق». وإذا ما نحن قارنا هذا الكتاب بما كتبه بيار لوتي في رحلاته، فإننا نجده خاليا من أي ذرة فن. إنه كتاب صحفي، بل كتاب صحفي بلا أيّ تأنّق. عبارة عن ملاحظات كُتبت يوما بعد يوم ثم جُمّعت لتكون كتاباً. وأنا أعتبرها طريقة سيّئة وكسولة لتأليف كتاب ـ وباستثناء ما يسلّطه جيد من أضواء على الظروف الاجتماعية في افريقيا ـ وهذا ما كان يهمّ الحكومة الفرنسية ـ فإني لا أرى أي فضيلة أدبية يمكن أن يعثر عليها جويس في هذا الكتاب، بل وفي جميع كتب جيد الأخرى. وأمتلك كتاباً آخر له في طبعته الأصلية، أعني بذلك «السمفونية الرعوية» الذي كان جويس قد أهدانيه في عيد الميلاد. وقد قال لي يومها: «أقرأ هذا الكتاب، خذْ منه موعظة». غير أني لم أقرأ الكتاب. بل بالأحرى إقتصرت على أن اقرأ على عجل تلك القصة المضجرة، التي لا طعم لها ولا روح. واعترف أنه على مستوى القصد، يمكن القول أنه حاذق، بل شاعريّ. غير أنه مكتوب بطريقة مشوشة، وجد ملتبسة إلى حدّ أننا نشعر أننا نسحب وراءنا شيئا ميّتا، وهذا ما ينزع عنّا كل حماس. والشيء الذي يزعجنا هو أن هذا الكاتب هو نفسه الذي كتب «رحلة إلى الكونغو». احتججت لدى جويس وقلت له إن جيد هو بالنسبة لي كاتب يحظى بشهرة كبيرة، لكنه بلا قيمة. وأطلق جويس زفرة. ثم بعد وقت قصير قال لي:« أعتقد أن هناك أناسا يقولون نفس الشيء عنّي».

ورددت أنا قائلاً:

ـ لا ـ أبدا ! أنت حاذق ولاذع. أما جيد فعليه أن يبحث في أرشيف سنوات 1890 المعروفة بكلاسيكيتها المتدهورة وسايكولوجية صالوناتها لكي يكتب صفحة واحدة.

وقال جويس محتجّا :

ـ جيد يمتلك أسلوبا جميلا. ما هو رأيك في «الباب الضيق»؟

ـ انه كتابه الأفضل. بل كتابه الوحيد.

Twitter: @ketab_n

ـ انه عمل رائع. رائع مثل نبل من نبال كنيسة نوتردام.

ـ اعترف أن له قيمة. بعض القيمة. لكن هذا لا يعني أن جيد له قيمة أناتول فرانس.

أطلق جويس زفرة. زفرة التعب التي يطلقها حين أعارض آراءه. وبما أن آراءنا تتعارض كثيرا، الشيء الذي لا يسمح لنا بمواصلة نقاشاتنا، فإن جويس التفت إلي وسألني:

ـ إذن، ماذا تحبّ في الأدب الفرنسي الحديث؟

وكان من الصّعب عليّ أن أجيب على هذا السؤال ذلك أنني لم أكن أقرأ إلا القليل من الكتب الحديثة. اسم واحد ورد على خاطري، اسم كاتب وددت لو كنت جمعت أعماله آملا أن تخطى ذات يوم بالقيمة التي تستحقها.

ـ ماكس جاكوب، قلت.

ـ من؟ سألني جويس.

ـ ماكس جاكوب. لقد قرأت له أخيرا كتابا يصور بشكل جيد الحياة الفرنسية.

ولكن من خلال تعابير وجهه، تبيّن لي أن جويس لا يعير اهتماما كبيرا لماكس جاكوب.

ـ وكيف أعجبت به؟ سألني.

ـ لقد حدثني عنه أحدهم. ووجدت في كتابه أشياء ذاتية جدّ مبتكرة وبورتريهات أدبية هامة ومتميّزة وحيّة.

ـ ليس له أهمية كبيرة... ولكن ما رأيك بمارسيل بروست؟ إنه بالتأكيد كاتب مهمّ. بل هو أهم كاتب فرنسي في زمننا هذا.

ولم أكن قد قرأت لمارسيل بروست غير الجزئين الأولين في «البحث عن الزمن المفقود» في ترجمة إلى اللغة الانجليزية كان قد أنجزها سكوت مونكريف . وقد

Twitter: @ketab_n

حاولت أن أقرأ الجزء الثالث منه باللغة الفرنسية غير أنني وجدته صعبا للغاية. ووجدتني ضائعا في بحر أمواجه الطويلة المعقدة. لذا قلت لجويس:

ـ يبدو لي أنه كتاب (أعني بذلك «البحث عن الزمن المفقود» مكتوب بلغة فيها تعقيد مقصود من قبل صاحبها، وبجمله الطويلة أرهقني كثيراً...

ـ كان عليك ان تتحلّى بالصّبر ذلك أن مارسيل بروست هو حقا أفضل كاتب فرنسي حديث، ولا أحد، بالتأكيد لا أحد، ذهب إلى أقصى حدّ في مجال السايكولوجيا الحديثة. وأعتقد أنا أيضا أنه من المحبّذ لو أنه واصل الكتابة بطريقته الأولى، ذلك أنني كنت قد قرأت عن بعض من تفاصيل حياته في فترة الطفولة والشباب في كتاب عنوانه «المتع والأيام». وكان ذلك عبارة عن دراسات حول المجتمع الباريسي في سنوات 1890. وهناك نصّ عنوانه «كآبة مصيف السيدة بريفس» أثارني كثيرا. وفي اعتقادي أنه كان بإمكانه أن يكتب أفضل الروايات في جيلنا. لكن عوض أن يفعل ذلك، انطلق يكتب «في البحث عن الزمن المفقود» الذي يبدو لي أنه معقّد أكثر من اللزوم.

وقلت لجويس:

ـ صحيح ما تقول ... ذلك أني أحبه، ومع ذلك أنا لا أحبّه. أتذكره ومع ذلك لا أتذكره، ذلك أنه يرى كل شيء من خلال حجاب، وشخصياته تتراءى في محيط من الكلمات. ليس عنده حيوية. بل ولا حتى مجرد ضجيج. وفكره هو الأكثر زخرفة في الأدب. ثم أن تعاظمه يزعجني...

ـ إنه كاتب من صنف خاص ... مع ذلك، وبالرغم من أنه يحرص على تصوير حياة أرستقراطيين متفسخين، فإني اضعه في نفس المكانة التي أضع فيها كلا من بلزاك وثاكري.

ـ آسف، ولكن كل هؤلاء الناس المتطلبين، الذين يأكلون جيّدا، يزعجونني. كل هؤلاء الناس المنسلخين عن الحياة والذين يعتقدون أن الحب لا بدّ أن يكون

Twitter: @ketab_n

شبيها بالمرض. ورغم أنك تقول أن هدف الذي كتب عن هؤلاء الناس، أعني بذلك مارسيل بروست، كان بلوغ أقصى ما يمكن مجال سبر أغوار السايكولوجيا الحديثة، فإني أرى أنه لم يلزم نفسه بتلك الضغوطات التي يخضع كل فنان نفسه لها، وبما أنه كان انساناً رقيقاً فإنه كان يسلم نفسه للزمن لكي يرحل به كما يشتهي ويريد فلا يرغب في التوقف أبدا. ما الذي استفاد من هذا التجريب في مجال الأسلوب؟

لم يكن ذلك تجريبياً. إن التجديدات والابتكارات التي أحدثها مارسيل بروست كانت ضرورية بالنسبة له للتعبير عن الحياة الحديثة كما كان يراها. وبما أن الحياة تتغير فإنّ الاسلوب الذي يعبّر عنها لا بدّ ان يتغيّر هو أيضاً. لناخذ المسرح مثلاً... لا أحد يفكّر في كتابة مسرحيّة حديثة بأسلوب الإغريق أو بأخلاقيّات القرون الوسطى. إنّ الأسلوب الحيّ لا بدّ أن يكون مثل نهر يأخذ لون ونسيج المناطق المختلفة الّتي يجتازها.أما الأسلوب الكلاسيكي المزعوم فله وقع ونغمة ثابتان إلى درجة أنّه يكاد يكون أسلوباً ميكانيكيّاً. أمّا أسلوب بروست فإنّه يعبّر عن إنجراف يكاد يكون غير محسوس ، لكنّه عنيد للزّمن الّذي هو برأيي المحرّك لأساسي لعمله الأدبي...

ـ أعتقد أنّه كان رجلاً خارقاً..وهو طريف مثل أسلوبه تماما إذ أنّه في أيّ وقت من العام كان يرتدي دائما معطفا كبيرا، ويضع على عينيه نظّارات سوداء ، ويتدثّر حتّى الذّقن...

ووافقني جويس قائلا:

ـ نعم، لقد إلتقيته ذات مساء في عشاء أدبي.وبعد التّقديمات اكتفى بأن يقول لي«هل تحبّ الكمأة؟ نعم قلت له .احبّ الكمأة كثيراً .و ذلك كان الحوار الوحيد بين الكاتبين لأكثر شهرة في عصرهما!

ـ وما هو رأيك بـBARRES و بـ «أناتول فرانس؟» سألته. غير أنّ جويس كنسهما بحركة من يده دون أيّ تعليق. وفي الحقيقة قيل لي أنّ الكاتب الّذي يمكن مقارنته ببروست هو سان سيمون لكنّ جويس ردّ عليّ قائلا :

Twitter: @ketab_n

ـ أنا لا أرى أيّة علاقة بين الإثنين. الشّيء الوحيد الّذي يشتركان فيه أنّهما كانا شديدي الإعجاب بـ«الرّابط الدّموي».لكن في حالة سان سيمون كان الأمر سياسيّا بالأساس، إذ أنّه كان يعتقد أنّ النّبلاء أو الطّبقة الارستقراطيّة العليا هم الذين ينبغي عليهم أن يحكموا فرنسا في زمنه، وكان يتآمر دائما من أجل بلوغ هذا الهدف .لكنّه كان مختلفا عن مارسيل بروست إذ أنّه كان إنسانا واقعيّا، وقصّته عن المؤامرات السّياسيّة وغيرها الّتي كانت تحاك في بلاط لويس الرّابع عشر مكتوبة بأسلوب جاف، قاس، وقاطع بلا خيال ولا سيكولوجية .لكنّ التصوّرات السّيكولوجيا لم تكن أبدا خاصّية عصره، إذ أنّه في ذلك العصر كان النّاس ينظرون إلى الواقع بنوع من الصفاء الذّهني. مع ذلك كان باستطاعته أن يصور الأحداث بشكل رائع. وهذا ما فعله عندما تحدث عن موت لويس الرابع عشر. أتذكر أني شعرت أني جدّ تعس وأنا أقرأ مذكرا ته. جوّ البلاط بكل تلك الشخصيات المنفرة والمتفسّخة والفاسدة التي كانت تفرض نفسها عليّ، وكل تلك النساء والرجال المتعجرفين والخادعين مثل دوق أورليون، حامي سان سيمون، ودوقته الرهيبة، و«السيد»، ذلك الأكول الكبير المتنفخ شحما، أخو لويس الرابع عشر. أتذكر وصفاً له عندما جاء يتناول العشاء عند الملك. فلقد كان جدّ قريب من السكتة الدماغية إلى درجة أن الملك هدد بنقله إلى القاعة الأخرى لكي ينزف دما بالقوة. لكن في المساء ذاته، وهو عائد إلى البيت، أصيب فعلا بالسكتة الدماغية. ويصفه سان سيمون وهو يحتضر على الأرض وليس معه من الحضور غير خادم لم يقدم له النجدة. كل هذا كان مأتميّا للغاية...

وقلت لجويس :

ـ لم يكن سان سيمون فنانا ... تصور ذلك البلاط الذي يعجّ بنساء جميلات بشعرهن المستعار المرشوش بالذّرور، وبجواهرهن، وحفلاتهن ومؤامراتهن الظريفة. ولكن سان سيون بدا وكأنه لا يمتلك أي حسّ أمام كل هذا أو أنه اعتبره أمراً عادياً، والكراهية السياسية التي لا تهدأ نارها والتي كان يكنها للأطفال غير

Twitter: @ketab_n

الشرعيين للملك جعلته وكأنه أعمى أمام أي شيء آخر. وفي مذكراته، لم يقل كلمة لطيفة واحدة حول أي انسان، إلاّ بالنسبة للأمير دربون الذي مات شابا خلال حادثه صيد عندما كبا جواده فجرحه قربوس السّرج في بطنه. وذلك كان التعبير الوحيد الذي أظهر فيه أنه يمتلك إحساسا انسانيا حقيقيا ...

ـ نعم ... كان هناك شخص يدعي الدكتور فاغون أو أتذكر أنه كان طبيب البلاط، وكان يفكر طويلا قبل أن يقرر إذا ما كان عليه أن يفصد المريض في رجله أو في كوعه. وكانت تلك الطريقة تقتل أعضاء الأسرة المالكة الواحد بعد الآخر، رغم أنه كان يطيل حياة البعض منهم في بعض الحالات، إذا أنهم جميعا كانوا يأكلون أكثر من اللازم. غير أني لا أرى حقا أية علاقة بين بروست وسان سيمون، حتى بشأن «الرابط الدموي»، ذلك أن هذا الأمر عند بروست يتخذ تعبيراً صوفياً. هل تتذكر وصفه للقائه الأول بالدوقه ـ ايرلندي لن يعطي أهمية كبيرة للقائه بالبابا ـ وهي امرأة عجوز مجعّدة حسب ما أتذكر، غير أنها كانت تقدّس كل مكان كانت تطأه بقدميها ...

واعترضت قائلا :

ـ إنه نوع من الشعائر التي لا أستطيع أن أفهمها. وكما قال بيكون «الذهب القديم يصنع عائلة قديمة». كل هذا يبدو لي على مستوى مادي أيضا. لكن إذا ما كانت عبقرية ما وراءه، فإننا نحسّ أنه هبة من الله.

ـ لست متفقا معك بشأن هذا الموضوع. لابد أن تكون هناك خاصيّة في «الرباط الدموي» لكي يحتفظ بأهميّته من جيل إلى آخر. ولا بد أن يحتفظ بقوة ما وبحكمة ما كذلك. وقد اعتدنا أن نكتشف أن نبيلا كان نصيرا لفنان أو لموسيقي، في حين أن بقية الناس لا يعيرونه أي اهتمام. وفي الواقع بعض الناس بتصوّرون أن تدهور رعاية الأدب والفن من قبل المترفين والأغنياء هو السبب الأساسي في تدهور الفن.

Twitter: @ketab_n

ـ ولكنه فنّ يمجّد أنصار الفنانين ... وهذا ما فعلـــه كـــل مـــن Boucher وWhatteau و Fragonard وValesquer في الصور التي وضعوها للملوك.

ـ ليس هذا صحيحا تماما. فلقد كان لويس الرابع عشر يساعد راسين الذي كان فنه ارستقراطيا، لكنه كان يساعد موليير أيضاً. وكان البلاط الملكي في اسبانيا يقدم مساعدت ثمينة لغويا إلى أن فقد الحظوة التي كان يتمتع بها لديه عندما ساعد الغزاة الفرنسيين في اختيار اللوحات من متحف البرادو لكي يحملوها معهم إلى فرنسا. عليك أن تقبل بأن أنصار الفن من النبلاء والمترفين لعبوا دوراً مهماً في ازدهار الفنون بمختلف أنواعها. وفي الواقع أعتقد أن هناك أعمالا كثيرة لم تكن لترى النور لولا المساعدات المادية التي قدمت لأصحابها من قبل أنصار الفن». لنأخذ مثلاً موديلياني الذي توفي يوم 20 يناير 1920. لقد عاش دائما في البؤس والشقاء، الشيء الذي قتله في نهاية الأمر. أتذكر أنني كنت في مقهى في المساء الذي انتشر فيه الخبر الذي يقول بأنه مات في المستشفى، وفي الحين سمعنا أن زوجته المسكينة القت بنفسها من سقف بيت والديها. وعندما سألت بغباء لماذا فعلت ذلك، هزّ الناس اكتافهم وقالوا لي: «لقد كانت معدمة وفقيرة.» وقد قدمني صديقي صولا إلى موديلياني، كان جالساً في مقهى Dôme يشرب «رومًا» لما سألته لماذا هجر الفنانون حي مونمارتر ليستقروا في مونبارناس حي بورجوازي بشكل فظيع. فكان جوابه بأنه أصبح من الصعب كراء مرسم في «مونمارتر» ذلك أن الناس الذين لا علاقة لهم بالفن اكتشفوا أن فيه بيوتا رخيصة وعملية. لذا أخذوا يتهافتون على كرائها. ثم ربما يحتاج الفن الجديد إلى حي جديد، إن فن «مونمارتر» بات«لعبة قديمة». ثم هناك الأكاديميتان القريبتان جدّ من هنا... وبإمكان الفنان أن يحصل على «موديلا» ببضع فرنكات. وفي النهاية لقد حدث التغيير. وعلى أية حال، أصبح من السهل بيع لوحة حديثة في «مونبارناس» أكثر مما هو الحال في «مونمارتر». ولقد وجدت موديلياني جميلاً، بصدر قوي غير أن البؤس كان قد شوّه وجهة، والكحول والمخدرات أكملت على ما تبقى فيه من جمال وصحة. وبرغم بؤسه الواضح للعيان، فإنه ظل يحتفظ

Twitter: @ketab_n

بنبل. وأنا أتحدث إليه، تذكرت بعض رسومه وخطوطه الرائعة في اللوحات التي كانت معروضة في واجهات البائعين. خليط من الفن الإيطالي البدائي ومن النحت الزنجي ... كذلك كانت الفتيات اللاتي يرسمهن بأعناق رقيقة، وبعيون منطفئة، وبأفواه مرسومة بشكل جميل. ومن اللوحات التي أتذكرها «بورتريه» السيدة هاستنغز التي أنجزت عام 1915 في بداية قصة حب كانت ستكون أسطورة في الحيّ. واللوحة التي أنجزت بالقلم الفحمي وبقلم الرصاص لا تمثل إلا رأسا : الشعر مقسوم عند النصف بمفرق. نظرة فارغة للعينين اللوزيتين. الفم تتباين عليه أطراف الشعر السوداء المسترّد إلى الخلف... شيء يوحي بأن المعنية بالأمر عاشقة متيمة حتى أنه بإمكاننا أن نعرف أحاسيس موديلياني تجاه تلك المرأة التي رسمها والتي التقيتها بالصدفة عقب موته بقليل. كان ذلك ذات ظهيرة في مقهى Roton de ، امرأة سمراء، متوسطة القامة، Bien Roulée كما يقول الفرنسيون. وكانت تتكلم بصوت هادئ تنضح منه خيبة الأمل. وبعد أن قلت لها أنني جدّ مهتم بـ موديلياني ، أسعدت بدعوتها لي ليتناول الشاي يوم السبت اللاحق في شقتها بالقرب من ساحة : DENTERT ROCHERAU ، وقد وعدتني بالإطلاع على اليوميات التي كانت تكتبها في ذلك الوقت. وعندما كانت تقدم لي الشاي، اشتكت لي من إخفاقات طموحاتها الأدبية. عندما وصلت إلى باريس، كانت تكتب أسبوعيا لمجلة إنجليزية معروفة جدّا فصولا من قصة تروي فيها حياة امرأة شابة أسطورية كانت تفقد ثيابها، خلال السهرة تعيش بعض المغامرات لكي تعثر عليها. وبالطبع، سألتها عن رأيها في أعمال موديلياني فكان جوابها أنها لا تهتم بها كثيرا، الشيء الذي أثار استغرابي. وقد قالت لي:

ـ باريس لها كثير من النزوات في هذا الصيف غير أنها سريعة التلاشي. وموديلياني سوف يُنسى مثل بقية الفنانين الذين عاشوا نفس مصيره. لقد كان معروفا في الحي بسبب الحياة التي كان يعيشها ، غير أن أعماله الفنية كانت مغالية في العاطفية. وهذا شيء لم يعد محتملا اليوم... وجوه نسائه المريضات ...

Twitter: @ketab_n

كلامها هذا أشعرني بالخيبة. وفي الواقع كانت تبدو وكأنها تنظر إلى علاقاتها مع موديلياني وكأنها فصل لا أهمية له بالنسبة لها، هي التي كانت في قلب الحياة الفنية الباريسية. وكانت قد التقت بشخصيات فنية مهمة مثل بيكاسو وأوتريللو ومن خلال كلامها، أحسست أنها تريد أن توحي لي بأن ما عاشته كان مجرد مغامرة بدّدت فيها عاطفتها وحيويتها لتقطف في النهاية الخيبة المرة. ثم تحول حديثنا إلى الأدب وربما لأن موديلياني كان يتحدث دائما عن بياتريس وعن الفردوس.

وطبعا كانت تنظر إلى كل هذا وكأنه شيء سخيف. وبعد موت موديلياني بقليل ذهبتُ إلى مرسمه. كان عبارة عن غرفة صغيرة وضيّقة تقع في أعلى عمارة قريبة من العمارة التي أسكنها في شارع غراند شومير. كانت الأرضية عارية، والجدران عارية وثمة نافذة وحيدة تفتح على شرفة صغيرة، وكان الفنان الذي يعيش فيها جزائرياً بائساً جدّاً هو أيضاً حتى أنه لم يكن يملك أثاثا، فقط حشية موضوعة على الأرض وكان عليه أن يحيطها بالماء لكي لا يداهمه البقّ. على الحائط كان قناع الجنائزي لموديلياني معلقا. بوجنتيه المحفورتين وشفتيه الباهتتين، بدا وكأنه فقد كل صفات الشاب الوسيم والقوي الذي كان. سألت الجزائري :

ـ من يملك هذا القناع؟ فهزّ كتفيه وقال :

ـ لا أحد يملكه... لقد وجدته هنا مع أشياء أخرى عندما جئت إلى هذه الغرفة. وعندما كنت أنظر إلى القناع، فكرت في أن جويس كان محظوظا لأن البعض من أنصار الفن قدّموا له مساعدات، أراحته من الكثير من المتاعب. ولو لم يفعلوا ذلك للقي نفس المصير الذي لقيه موديلياني ..

Twitter: @ketab_n

X

بعد أن فكرت في نقاشنا حول بروست، بدا لي أن الكتاب الذي يشبهه أكثر من غيره هو ليدي موراكي ، الروائية اليابانية التي كان جويس يجهل أعمالها. وكنت قد عثرت قبل ذلك بقليل على «حكاية جنجي» في ترجمة كان قد أنجزها آرثر ويلي، وكان الكتاب الأكثر أنوثة من جميع الكتب التي قرأت. وهو عبارة عن هجائية مكتوبة بلغة رتيبة لا تصل أبدا إلى التصعيد، لكنها تقطر عطراً فائق الوصف، تماما مثلما هو الحال بالنسبة لمارسيل بروست. فالليدي موراكي كانت تعتبر الطبقة والمكانة الاجتماعية هما الأهم. وكل شيء، وكل شخص غريب عنهما لا يمكن أن يكون إلاّ بربريا وخاليا من أية قيمة.

وهي تعتقد أيضا أن الريف مكان لم تدخله الحضارة. فإذا ما نحن ذهبنا إليه، فنحن لا نفعل شيئا آخر غير إضاعة وقتنا وإفساد حياتنا وتشويه شبابنا. وهي لا تهتم مطلقا بالأحداث المهمة. لذا حين يأتي محافظو الأقاليم إلى البلاط الملكي، فإنها تكتفي بالقول إنهم جهلة ومتعجرفون. وبرغم أن الأمير «جنجي» هو الضابط الأول في الدولة، فإنها بالكاد تهتم بوضعيته. ما يهمها هو جماله ورجولته ومكانته في البلاط الملكي، ذلك أنه كان الابن غير الشرعي للامبراطور. وكتاب ليدي موراكي هو قضية أسلوب، وتصويرها للبلاط الياباني قبل ألف عام لا يختلف أبدا في النّبرة عن تلك الفئة الاجتماعية الباريسية التي يتحدث عنها بروست.

Twitter: @ketab_n

ولكن جويس لم يتحمّس كثيرا لقراءة هذا الكتاب ربما لأن حديثي عنه لم يرق له. وعندما أبديت استعدادي لأعيره إيّاه ، اكتفى بالقول :«إذا أردت ذلك». إن مفهوم للحياة تختلف جذريّا عن مفهومه هو. وأنا على يقين أنه سيشعر بالضجر لو قرأ كتابها. لذا خيّرت ألاّ الحّ عليه، وعدت إلى «بيار لوتي» أملا أن أقنعه بموهبة هذا الأخير ، غير أنه لم يتفهم إعجابي به. وردّ علي قائلا:

ـ إذا أنت أردت أن تعجب بكاتب فرنسي رومانسي، فلم لا تعجب بـ«ستاندال». وبروايتيه :«الأحمر والأسود» و«شارتروز بارم». وأجبته أنا:

ـ ربما ما تقوله صحيحاً. ولكن أن يكون الكاتب رومانسيا، فإنه لا يعني ذلك أنه لا بدّ ان يكون قاسيا، بلا رحمة ولا شفقة تجاه الآخرين، مثلما هو شخصيات ستاندال. أما لوتي فرومانسي ، انطباعي رومانسي إن شئت، لكن دون أن يكون فظا وقاسيا.

ـ هذا محتمل. ولكن ستاندال كان ثمرة الحقبة النابليونية في زمن كان فيه الفرنسيون يعتقدون أنه بإمكانهم غزو العالم. وكان هو يعبّر في مختلف رواياته عن هذا الوضع. وأعتقد شخصيا أن «شارتروز بارم» كتاب جيّد بحسب المقاييس الرّومانسية.

وقلت:

ـ بمعنى معيّن هو كذلك. غير أنه ليس مقنعا، ولا يستجيب لذوقي الأدبي.

وردّ جويس قائلا :

ـ ولكنك لا تستطيع أن تنفي قيمته. قليل هم الكتاب الذين عبّروا عن الحب بمثل تلك القوة. خذ مثلا «الأحمر والأسود» وتحديدا المقطع من الرواية حين يتخفّى جوليان في غرفة MADAME DE RENAL، أو المقطع الآخر حين يرتقي السلّم في المساء ليدخل غرفة مدام دي لامول. إن الطريقة التي رسم بها «ستاندال» نشوتيهما العشقية رائعة». وواصل جويس مديحه لستاندال، وهو أمر أدهشني كثيراً، قائلا:

Twitter: @ketab_n

ـ هناك مشاهد أخرى رائعة في روايته «الأحمر والأسود»، وهي أعلى قيمة على المستوى الفني والعاطفي من تلك التي نجدها عند ثاكري في كتابه: «معرض الأباطيل». أن مشاهد هذا الأخير تبدو بلا روح بالرغم من أنه كان معاصرا لـ«ستاندال».

ـ ولكن ثاكري وصف الحياة الاجتماعية في عصره بطريقة بسيطة وواضحة، لكن دون حماسة أو اندفاع.

ومعترفا إلى حدّ ما بصحة ما قلت، ردّ جويس قائلا :

ـ نعم ... ولكن ثاكري يمتلك فنّا مهما لا يمتلكه «ستاندال» ، أعني بذلك فن الدعابة...

وصرخت أنا قائلا :

ـ الدعابة هي التي منعت الرواية الانجليزية من بلوغ العظمة الحقيقية.

ـ هل تعتقد أن ما تقوله صحيح. لكن في هذه الحالة ماذا نفعل بـ برنارد شو ؟

ـ هو ليس روائياً ...

ـ روائياً كان أم غير ذلك... ليس هذا مهمّا. المهم هو أني أرى أن هناك جانبا لا انسانيا عند كاتب لا يمتلك فن الدعابة مثلما هو الحال بالنسبة لـ«ستاندال».... وبالنسبة لكتاب فرنسيين آخرين. إن انفعاليتهم تمنعهم من اكتساب هذا الفن ذلك أنهم يتعاملون مع الحياة بكثير من الجديّة. ولا فرنسي واحد يقبل بأن يكون أدنى رتبة من الحياة. اذ أن غروره وزهوه بنفسه يمنعانه من ذلك. أما الانجليزي فمتوازن أكثر ودعابته تجعله يقبل بضعفه أمام مصيره.

ـ هذا صحيح، قلت ... مع ذلك أنا أفضّل «ستاندال» على ثاكري رغم غموضه، ذلك أن جمال الأشياء يهمني أكثر من أي شيء آخر. أن ما يهمنا في كل أثر أدبي أو فنّي هو النّوعية وليس الذكاء أو القدرة على الوصف، وأيضا الجمال كما هو الحال عند «بيار لوتي» و«بروسبير ميريمي». وإذا ما تحدثنا عنك، فإني لا أتردد في القول

Twitter: @ketab_n

بأنني أفضل« صورة الفنان شابا» على «أوليسيس» نظر لجمالها، ولجملها المتدفقة، ولصورها العجيبة. وأقدر أن أقول أنك كنت من أروع من وصف فترة المراهقة.
وردّ علي جويس قائلا :

ـ ان «أوليسيس» هي النزول إلى الجحيم، ذلك أنه ليس بإمكاننا أن نظل مراهقين إلى الأبد. إن «أوليسيس» رجل يمتلك تجربة مهمة في الحياة. ومن هذا الزواج، الزواج المرغم بين الروح والمادة، تولد الدعابة، ذلك أن «أوليسيس» عمل يستخدم فنّ الدعابة أساسا. وعندما تنجلي السحب التي خلقها النقّاد حوله، سوف يكتشف الناس قيمته الحقيقية.

ـ إذن حسب رأيك، النقاد والمثقفون هم الذين خلطوا الأوراق ولم يفهموا مقاصدك بوضوح، لذا هم ابتكروا مفاهيم لا توجد عن روايتك...

وهزّ جويس كتفيه باستخفاق وقال :

ـ نعم ولا. قد يكونون على حق، فالكاتب لا يعرف أحيانا ما وضع في عمله. وقد يكون القراء والنقاد على حق عندما يكتشفون في الكتاب ما أنا لم أقصده. من هو الكاتب الذي يعرف جيّدا ماذا خلق؟ هل يعرف شكسبير ماذا خلق عندما كتب «هاملت»؟ وهل كان «ليوناردو دافينتشي» يعرف ماذا خلق عندما رسم «العشاء السّري» ؟

اعتقد أن العبقرية الحقيقية للكاتب أو الفنان تكمن في مسوداته، وفي أفعاله الطارئة العرضية يكمن جوهر موهبته. أنا بالنسبة للجمال الذي أنت تسهب في الحديث عنه، وتبدو جدّ متعلّق به، فأنا أقول لك بأنه بحسب المعايير الحديثة، فإن البشع هو وحده الجميل!».

Twitter: @ketab_n

بين عزرا باوند وجيمس جويس

حسونة المصباحي

الصداقة بين الأدباء، حتى ولو كانت نادرة، كانت وما تزال عنصرا أساسيا لفهم جزء مهم من تاريخ الآداب الانسانية. وهذا ما تؤكده علاقة الصداقة المتينة التي ربطت بين اثنين من أعظم أدباء القرن العشرين، أعني بذلك عزرا باوند "1885-1972" وجيمس جويس "1882-1941".

وبحسب فورست ريد "Forrest Read" فإن علاقة الصداقة بينهما، بدأت على النحو التالي: في شتاء عام 1913، أي قبل اندلاع الحرب الكونية الأولى بأقل من عام، كان عزرا باوند في مقاطعة "Sussex" البريطانية بصحبة الشاعر الايرلندي ويليام بتلرييتس.

والاثنان كانا يعملان بعيدا عن ضجيج لندن، على فتح آفاق جديدة أمام الأدب والفن. وكان الأول الذي قبل أن يعمل سكرتيرا خاصا للثاني يعيش وضعا ماديا صعبا للغاية. وكان يقول لأصدقائه مازحا إنه «رجل ريشة لكن دون ريش». مع ذلك كان يحظى بتقدير كبير داخل الأوساط الأدبية البريطانية والفرنسية. فقد كانت أفكاره بشأن «بعث نهضة أدبية جديدة» تقوم على انصهار بين الثقافة الأوروبية والثقافة الأمريكية تثير اعجاب واهتمام الكثيرين من المتطلعين إلى درب طلائعي أصيل وفاعل في الواقع. وعندما جاء إلى لندن عام 1911، أصدر مؤلفا صغيرا طرح فيه تصوراته للنهضة المذكورة.

Twitter: @ketab_n

شعراء الصورة

وفي عام 1912، أصدر بيانا حدّد فيه نظريته للشعر الجديد. ولأنه كان شديد الحماس لأفكاره، ولأفكار من كانوا يتطلعون مثله إلى النهضة التي كان يطمح إليها، فإن البعض سموه «وزير الثقافة بدون حقيبة». وفي "Sussex" بصحبة ويليام بتلرييتس،

شرع عزرا باوند في اعداد انطولوجيا تخص من كان يسمونهم في ذلك الوقت بـ «شعراء الصورة» والذين كانوا يدعون إلى ضرورة استعمال اللغة اليومية، ويهتمون في قصائدهم بتصوير الحياة العصرية، متخلين عن الأوزان القديمة، وقبل انتهائه من اعداد الانطولوجيا المذكورة، نصحه ويليام بتلرييتس باضافة شاعر آخر إلى الشعراء الذين تم اختيارهم.

ولم يكن هذا الشاعر غير جيمس جويس الذي كان قد كتب في بداية مسيرته الشعرية كراسا احتوى على مجموعة من القصائد حملت عنوان: «موسيقى الغرفة». وفي الحين، بعث عزرا باوند برسالة إلى جيمس جويس وذلك بتاريخ 15 ديسمبر / كانون الأول 1913 طالبا منه ان كان بامكنه مده بقصيدة تكون صالحة لأنطولوجيا "شعراء الصورة"، فما كان من صاحب «موسيقى الغرفة» إلا أن لبى الدعوة مرسلا لعزرا باوند قصيدة حملت عنوان: «أسمع جيشا يتهيأ للمعركة في السهل» وفيها يقول:

أسمع جيشا يتهيأ للمعركة في السهل

والخيول تغرق في قرقعة الرعد، وقوائمها غاطسة في الزبد،

وخلفها، متغطرسين في دروعهم السوداء

مسلحين بسياط تتطاير مع الريح، مستخفة بالأعنة،

سائقو العربات

هم يطلقون صيحات الحرب في الليل

Twitter: @ketab_n

أدمدم في نومي محتجا حين أسمع، بعيدا، زوبعة ضحكاتهم،
هم يفلقون ظلمات حلمي مثل لهب يعمي الأبصار،
ويضربون، يضربون على قلبي مثلما يضربون على السندان

وبعد ذلك بأيام قليلة، أرسل جويس إلى باوند مجموعته القصصية «أناس من دبلن» التي رفضها العديد من الناشرين، وفصلا من روايته «ديدالوس» التي ستكون «صورة الفنان في شبابه» وأيضا مسرحيته اليتيمة «المنفيون». وبعد أن اطلع على هذه المخطوطات شعر عزرا باوند بأنه أمام أديب عظيم، يمتلك موهبة عالية، ولغة جديدة لم تكن متوفرة لدى معاصريه من الأدباء والفنانين. وعندئذ قرّر أن يبذل كل ما في وسعه للتعريف بجيمس جويس، ومساعدته على نشر آثاره.

حياة بائسة

وكان جويس الذي كان قد غادر ايرنلدا نهائيا عام 1904، بصحبة فتاة قلبه «نورا بارنا كل» التي لن يتزوجها إلا مطلع الثلاثينات، يعيش في ذلك الوقت في مدينة تریاست الايطالية. وكان يمر من وقت لآخر بفترات عصيبة على المستويين المادي والمعنوي.

ولمواجهة المصاعب المادية التي كانت قد ازدادت ثقلا بعد أن أنجبت له نور ولدا وبنتا، كان على جويس أن يقدم دروسا في اللغة الانجليزية للراغبين في ذلك. ومصورا حياته البائسة هذه كتب إلى مخائيل هايلي خال نورا، بتاريخ 2 نوفمبر/ تشرين الثاني 1915 يقول: «اليوم عيد القديس «جوستين الشهيد» سيّد مدينة تریاست. ربما أذهب لآكل «بودينغا» صغيرة بخسة الثمن، احتراما لذكراه بسبب السنوات الطويلة التي أمضيتها في مدينته.

أما بالنسبة إلى المستقبل فليس من المفيد التفكّر فيه. وإذا ما أنا تمكنت في هذا

Twitter: @ketab_n

الوقت من أن اكتشف من هو المسؤول الأول عن رجال الأدب فإنني سأحاول أن أذكّره بأنني موجود، غير أني أتصور أن القديس الأخير الذي كان يؤدي مثل هذه المهمة استقال يأسا وقنوطا، وأنه ليس هناك من يعوّضه».

وبالرغم من حالة الاحباط التي كان يعيشها في ترياست، فإن جيمس جويس ظل واثقا من نفسه ومن قدراته الابداعية. وفي الأعمال الابداعية التي أنجزها حتى ذلك الحين، استطاع أن ينحت لنفسه شخصية أدبية متميزة، تتمتع بقدرات هائلة في مجال الابداع الأدبي والفني. ومثلما يشير إلى ذلك فورست ريد، كان جويس مهتما في ذلك الوقت بـ «تطوير واقعية القرن التاسع عشر، وبوضع الأسس المادية للمواضيع الطلائعية التي كان باوند منشغلا بها»، كما كانت له «نظرة حادة للحياة كما هي، وللوسط الحضري».

وكان له ادراك لما كان يسميه بـ«الجمال الغزير» الذي يزاوج بين العامل الموضوعي وردّة الفعل العاطفية. وللمرة الأولى في الأدب الانجليزي الحديث، أصبحت المدينة في مجموعة «أناس من دبلن» مبدأ شكليا أساسيا. اما في «ديدالوس» والتي ستصبح «صورة الفنان في شبابه» فقد نقل جويس تجربته الخاصة بهدف استكشاف الحياة الداخلية لفنان في طور التكوّن، يواجه الأبعاد الحضرية والأخلاقية لمدينة دبلن.

«رابليه» جديد

وكان من الطبيعي أن يعجب باوند بأعمال جويس لأنه وجد فيها العناصر الأساسية التي يمكن أن تساعد على بعث النهضة الأدبية والفنية التي كان يطمح إليها. ففي عام 1912، عندما كان يطوف في لندن، شعر للمرة الأولى بزخم وتعقد الحياة في المدينة الحديثة المترامية الأطراف. لذا أخذ «يصطاد الواقع» محاولا من خلال ذلك «تحديث» نفسه و«تحديث» شعره.

Twitter: @ketab_n

وقد كتب يقول متمنيا ظهور كاتب يكون قادرا على التعبير عن الأجواء الجحيمية للمدينة الحديثة: «أيها المسيح اللطيف... تقبأ لنا من الجحيم واحدا مثل رابليه "Rabelais" يتجشأنا، ويصور لنا العصور الحديثة بأفضل طريقة ممكنة. وليكن معلم هذه الطريقة شبيها بكدس من الأوساخ يتعذر محوه».

ومن المؤكد أن باوند أحس بعد اطلاعه على أعمال جويس الأولى بأن هناك «رابليه» جديدا، يمتلك الموهبة الكافية لابراز الجوانب المعتمة في الحضارة الغربية الحديثة. لذا راح يتصل بالمجلات الطلائعية مثل "Little review" و"Egoist" وأيضا بكل المهتمين بشؤون الأدب الطلائعي لاقناعهم بضرورة الاعتناء بصديقه الذي لم يكن قد التقاه بعد، غير أنه كان على اتصال دائم به عبر الرسائل.

ولعل العنصر الأساسي الذي ساعد على توطيد العلاقة بين الأديبين الكبيرين، أي جيمس جويس وعزرا باوند، هو أن كل واحد منهما كان يسعى لابداع عمل يرتكز على الماضي، ويكون عاكسا لهواجس الحضارة الحديثة. وهذا ما سوف يتحقق فعليا في «اوليسيس» بالنسبة إلى الأول، وفي «كانتوس» بالنسبة إلى الثاني.

عند اندلاع الحرب الكونية الأولى، انتقل جويس إلى زيوريخ ليواصل كتابة عمله الأساسي «اوليسيس» محيطا صديقه علما باوند بكل ما كان يقوم به على المستوى الأدبي، مشتكيا من أحواله المادية البائسة. أما باوند فقد ظلّ وفيا لصديقه، فلم يكن يبخل عنه بشيء، بل إنه أرسل إليه ذات مرة ثمن حذاء.

وفي عام 1917، استطاع باوند أن يقنع أحد الناشرين في نيويورك باصدار «صورة الفنان في شبابه». وعن هذا العمل، كتب مقالا أشار فيه إلى أن جويس يكتب نثرا نادرا في اللغة الانجليزية، نثرا يذكر بفلوبير وهو نثر «صلب، صاف، من دون غزارة في الكلمات، ومن دون تراكم لجمل غير مفيدة، ومن دون صفحات مليئة بالثرثرة الفارغة، والموجعة للرأس».

ويضيف باوند قائلا: «من المهم أن يكون هناك أدب صاف، وواقعي، ومن دون

Twitter: @ketab_n

مغالاة أو إفراط. ومن المهم أيضا أن يكون هناك نثر جيد. وأنا أعتقد أن الصفاء الفكري والصحة العقلية تتوقفان على صفاء اللغة».

وفي مقال نشره في ربيع عام 1918، كتب باوند يقول متحدثا عن «صورة الفنان في شبابه»: «ان هذه الرواية هي أدب حقيقي. وقد أصبحت بالنسبة إلى البعض بمثابة الانجيل»..«في كل صفحة من صفحاتها، بامكاننا أن نعثر على تناوب بين الجمال الذاتي والفقر الخارجي حيث الوسخ والمظاهر البشعة. وما أعتقد أن الروائيين المعاصرين يمتلكون القدرة على بلوغ نغمتها الفنية العالية.»

أول لقاء

مطلع العشرينات، انتقل جيمس جويس إلى باريس بصحبة عائلته. وهناك التقى عزرا باوند للمرة الأولى. وقبل ذلك كان صاحب «كانتوس» قد اطلع على فصول طويلة من «اوليسيس» وأبدى اعجابه الشديد بها. وعند صدور هذا العمل، كتب يقول: «ان بلوم، بطل «اوليسيس» يجيب عن السؤال الذي نطرحه على أنفسنا بعد أن ننتهي من قراءة «صورة الفنان في شبابه». فقد ابتكر جويس شخصية جديدة منتقلا من السيرة الذاتية إلى خلق شبح يكمل به الشخصية السابقة. وهذا الشبح هو بلوم الذي يتحدث عن الحياة، وعن الموت، وعن البعث، وعن الديمومة.

وهو يشيع الحركة في الكتاب من أوله إلى آخره، وكل ما يتصل به، يمكن اعتباره حيويا. وكلمات الشخصيات الأخرى تبدو غامضة، بل ربما ذاتية أكثر من اللزوم، وغير مفهومة، إلا بالنسبة إلى الناس الذين يعرفون دبلن حتى ولو كان ذلك عبر السماع، ويمتلكون ثقافة جامعية ومعرفة بالعصور الوسطى».

ومقارنا بين أعمال فلوبير، كاتبه المفضل في القرن التاسع عشر، وجيمس جويس، كتب باوند يقول: «لقد بدأ جويس فن الكتابة هناك حيث توقف فلوبير. ففي «أناس من دبلن» و«صورة الفنان في شبابه» هو لم يتجاوز «الحكايات الثلاث»

Twitter: @ketab_n

و«التربية العاطفية». أما في «اوليسيس» فإن جويس واصل طريقة كان قد استعملها فلوبير في عمله الأخير «بوفار وبيكوشيه». ولكنه ارتقى بها إلى مستوى عال يتميز بالنجاعة والكثافة.

الانسان المتوسط الشهواني

وهو هضم «إغواء القديس انطوان» «عمل لفلوبير» بكامله ولا يكون هذا العمل قابلا للمقارنة مع «اوليسيس» إلا في فصل واحد، ذلك أن رواية جويس «أي اوليسيس» تمتلك شكلا خاصا بها أكثر من أي رواية من روايات «فلوبير». ويواصل باوند المقارنة بين فلوبير وجويس قائلا: «إن بوفار وبيكوشيه هما قاعدة الديمقراطية. وبلوم أيضا. إنه رجل الشارع ورجل كل الأيام، وهو الانسان المتوسط الشهواني. وهو أيضا شكسبير واوليسيس هوميروس،واليهودي التائه، وقارئ صحيفة «الدايلي مايل» والرجل الذي يؤمن بما يراه في الصحف».

عند اندلاع الحرب الكونية الثانية، كان على جيمس جويس الذي كان قد أنهى عمله الأخير «يقظة فينيغن» أن يترك باريس التي سقطت في أيدي النازيين. ولم يتمكن من الحصول على تأشيرة تمكنه من العودة إلى زيوريخ إلا عقب متاعب كبيرة. أما باوند الذي كان قد اختار الوقوف إلى جانب الفاشية، فقد أصبح مسؤولا عن البرامج الاذاعية الموجهة من روما ضد الحلفاء، وضد بلاده الولايات المتحدة الأمريكية. وعندما توفي جيمس جويس في 13 يناير/جانفي 1941، أذاع صديقه باوند برنامجا تأبينيا في الاذاعة الفاشية، وقال راثيا إياه:

«فقد العالم واحدا من أروع ضيوفه، وصديقا، ورفيقا يمتلك قدرة عالية على السخرية»..«وأعتقد أن عمله «اوليسيس» يمكن اعتباره واحدا من أعظم الأعمال التي ابتكرها الخيال الانساني منذ «الجحش الذهبي» لأبوليوس مرورا بـ«غارغانتا» لرابليه، و«دون كيخوتي» لسرفانتس، و«بوفار وبيكوشيه» لفلوبير.

Twitter: @ketab_n

الهوامش

1. سيلـڤيا بيتش: (SILVIA BEACH)كاتبة أمريكية (1887-1962) . عاشت في باريس لفترة طويلة حيث فتحت مكتبة اسمها SHAKES PEARE AND CO التي أصبحت ملتقى الأدباء الطليعيين.

2. هربرت جورج ولز (H.G.WELLS). كاتب انجليزي (1866-1946) . اشتهر بقصص مغامرات ومخيّلة واسعة تستبق الأحداث العلمية، منها: «الرحل الخفي»، و«حرب العوالم».

3. هوميروس : (القرن 9. قبل الميلاد). ولد في آسيا الصّغرى. شاعر ملحمي يوناني. قيل أنه كان أعمى. نسبت إليه أشعار: «الالياذة»، و«الأوديسة» و«الأغاني الهوميرية» التي أثرت تأثيرا عميقا على مستقبل الشعر اليوناني.

4. سينج (SYNGE) : كاتب ايرلندي (1871-1909). عاش في باريس لفترة طويلة وكتب العديد من الأعمال والمسرحيات المستوحاة من الفولكور الايرلندي.

5. ابسن (IBSEN) : كاتب مسرحي نرويجي (1828-1906) . له مسرحيات أحيا فيها ملحمة أبطال النرويج وشدّد على تأثير الظروف الاجتماعية في الحدّ من تقدّم الفرد. منها «بيت الدمية»، و«الراجعون»، و«البطة البرّية».

6. شيريدان (SHERIDAN): كاتب مسرحي ايرلندي (1751-1816) نالت مسرحياته شهرة كبيرة في لندن التي أقام فيها فترة طويلة.

7. جيمس كلانس مانغان (MANGAN) : شاعر ايرلندي (1803-1849) مات بمرض الكولويرا منسيا ومهملا من قبل معاصريه.

8. باتر (PATER) : كاتب انجليزي (1839-1894) .

9. TRIESTE : مدينة بشمال ايطاليا على الحدود مع النمسا، وعلى الساحل الادرياتيكي، أقام فيها جويس فترة طويلة عقب خروجه إلى المنفى الطوعي وهو لا يزال في سن الشباب.

10. جورجت ميريديث (G. MEREDITH) : كاتب انجليزي (1828-1909) تأثر به كل من ولز ولوارنس.

Twitter: @ketab_n

11. توماس هاردي (T. HARDY) : كاتب انجليزي (1928-1940) اشتهر بروايات واقعية تشاؤمية منها «عينان زرقاوان» و«سكان الأحراج»، و«تس أوربرفيل».

12. كيبلينغ (KIPLING) : كاتب انجليزي (1865-1936). ولد في «بمباي» بالهند. له :«كتاب الأدغال». حاز جائزة نوبل للآداب عام 1907.

13. (LADY MURASKI) : كاتبة يابانية (978-1014). كتبت باللغة الصينية. عملت عند الامبراطورة «اكيكو».

14. بوشكين : شاعر روسيا الأكبر (1799-1837). نفي لميوله السياسية التحريرية المناهضة للقيصريّة. قتل أثناء مبارزة.

15 تولستوي: كاتب روسي كبير (1828-1910). حاول اصلاح المجتمع عن طريق العدل والمحبّة وعدم العنف. صوّر العادات الروسية وانتقد المساوئ. أشهر رواياته: «الحرب والسلم»، و«أنا كارينينا».

16. تشيكوف : أديب روسي (1870-1904). من أشهر كتاب القصة في العالم. وله مسرحيات انتقد فيها الحياة التافهة في قصور أشراف الروس الريفيين، منها «الخال فانيا»، و«بستان الكرز».

17. تورغينيف: كاتب روسي (1818-1883).

18. جان رباتيست غروز (1725) : (GRUSE-1805) : رسام فرنسي من مقلدي الكلاسيكية. له لوحات ذات مغزى خلقي : «اللّعنة الأبوية»، و«المصالحة في القرية».

19. وانطوان واتر (WATTEU): رسّام فرنسي (1684-1712) امتاز بإلهام شعري عميق وبتوزيع متناسق للألوان. رسم مناظر الحقول والأرياف وحفلات العشاق.

20. دستويفسكي : كاتب روسي عظيم (1812-1881). كان له تأثير كبير على الأدب الروسي والعالمي. له روايات تتميّز بالتحليل النفسي والأخلاقي، منها: «الجريمة والعقاب»، و«الأخوة كارامازوف» . و«بيت الموتى» و«الأبله» و«المقامر».

21. شارتروز بارم: إحدى أهم رويات الكاتب الفرنسي ستاندال (1783-1842) الذي اشترك في حروب نابليون بونابرت. برع في رسم الشخصية بدقة وامتاز بالتحليل النفسي.

Twitter: @ketab_n

22. مویاسان : کاتب فرنسي (1850-189). له روایات وقصص واقعیة تصف حیاة القرویین ومغامرات العشاق. منها «کرة شحم»، و«حکایات دجاجة الأرض» و«الآنسة فیفي».

23. جورج مور: کاتب ایرلندي (1852-1933). اهتم بالرّسم وارتبط بعلاقة بـ MANET ، الرسام الفرنسي الشهیر وذلك خلال إقامته في باریس التي وفد إلیها وهو في العشرین من عمره وفي شعره بودلیر.

24. فالیري لاربو : کاتب فرنسي (1881-1957). کان أوّل من اقنع الفرنسیین بعظمة جویس من خلال عمله «أولیسیس».

25. بانثیون: مدفن الرجال العظماء الفرنسیین في باریس.

26. رایمون لول: (1232-1315) راهب فرنسیسکاني اسباني. ولد في میروقة بشرقي افریقیة. عارض فلسفة إبن رشد وشجع تعلیم اللغات الشرقیة. له مؤلفات بالعربیة واللاتینیة.

27. دون سکوت (1266-1308) من کبار علماء اللاهوت الانجلیز. عارض بآرائه الفلسفیة تعالیم توما الأکویني.

28. شارتر : کاتدرائیة من القرن الثاني عشر. من روائع الفن القوطي.

29. والت ویتمن: (1819-1892). من أعظم الشعراء الأمریکیین. اشتهر بمجموعة «أوراق العشب»، استعمل التعابیر الشعبیة وتغنّى بالحریة والحب والشهوانیة.

30. بار ناردران دوسان بیار: کاتب فرنسي (1737-1814).

31. فرانسو دوشاتربریان : (1768-1848). أدیب فرنسي من زعماء الرومانسیة. اشتهر بغنى مخیّلته وطلاوة لغته. من أشهر مؤلفاته: «مذکرات ما وراء القبر». زار الشرق ودوّن مذکراته في :«رحلة إلى أورشلیم».

32. فلاندر : منطقة في فرنسا.

33. لورانس إیرلندي : کاتب انجلیزي (1713-1768).

34. جوناثان سویفت: (1667-1745). أدیب ایرلندي. أدّى به فشل طموحاته إلى هجاء مجتمعه بنقد عنیف لاذع في کتابه الشهیر:«رحلات غولیفر». وهو عبارة عن أسفار خیالیة من بلاد الأقزام والعمالقة تتجلّى فیها وحشیّة الانسان وتفاهة البشر.

Twitter: @ketab_n

35. الفونس دولامارتين (1790-1869). من مشاهير الشعراء الفرنسيين وزعيم الحركة الرومانسية. زار بلاد الشرق وشغف بها. من مؤلفاته الشعرية «تأملات».

36. دنيال دفو: كاتب انجليزي (1660-1731) . من أشهر أعماله: «روبنسون كروزو».

Twitter: @ketab_n

آرثر باور

الغصن الذهبي

حوار ممتد مع جيمس جويس

وجدت في كتاب آرثر باور«حوارات مع جيمس جويس» ما ساعدني على فهم صاحب «صورة الفنان شاباً»، ومعرفة آرائه في الفن والأدب عموماً. لذا ارتأيت نقله إلى العربية ببعض التصرف، فلعلّ أحبّاء جويس من الكتّاب والمثقفين العرب يجدون فيه ما يشفي غليلهم.

كان آرثر باور فنّاناً شابّاً يعيش في باريس في العشرينات من القرن الماضي لمّا تعرف على جويس. وظل يلتقي به عدة مرات في الشهر لسنوات طويلة، مسجلاً خلال كل لقاء به، آراءه حول الأدب والفن عموماً، وحول كتّاب من مختلف العصور والثقافات... لذا يمكن القول أن هذا الكتاب مفتاح جيّد لفهم عالم صاحب «أوليسيس»، وسبر أغوار فنان عظيم أحدث ثورة هائلة في مجال الكتابة خلال القرن العشرين.

حسونة المصباحي

ISBN 978-9-9570999-9-4

تلفاكس 5522544 6 00962 ص.ب 950252 عمّان 11195 الأردن